على سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة آل عمران)

سميت بها لان اصطفاء آل عمران وهم عيسى ويحيى ومريم وأمها نزل فيه منها ما لم ينزل في غيره اذ هو بضع وثمانون آية وقد جعل هذا الاصطفاء دليلا على اصطفاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وجعله متبوعا لكل محب لله ومحبوب له وتسمى الزهراء لانها اكتسفت عما التبس على أهل الكتابين من شأن عيسى عليه السلام والامان لان من تمسك بما فيها أمن من الغلط في شأنه والكنز لتضمنها الاسرار العيسوية والمجادلة لنزول نيف وثمانين آية منها في مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم نصارى نجران اذ وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ستون راكبا منهم وفيهم العاقب والسيد فكلما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما عليه السلام أسلما قالا أسلمنا قبلك قال كذبتما قد منعكما من الاسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب فقالا ان لم يكن ولد لله فمن أبوه فقال عليه السلام ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد الا ويشبه أباه قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل علك عيسى من ذلك شيأ قالوا لا قال ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك شيأ الا ما علم قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى ولدها كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فأنزل الله لتصديقه بضعا وثمانين آية من صدر آل عمران وتسمى سورة الاستغفار لما فيها من قوله والمستغفرين بالاسحار وطيبة لجمعها من أصناف الطيبين في قوله الصابرين والصادقين الى آخره (بسم الله) الجامع للكمالات اللطفية والقهرية اذ لطف بعيسى قوما آمنوا برسالته وقهر به قوما كذبوه أو جعلوه الها أو ولده (الرحمن) بافاضة الحياة وافادة القوام وارسال الرسل وانزال الكتب (الرحيم) بافاضة العلم والتوفيق للايمان بالكل والعمل بالمتأخر (الم الله لا اله الا هو الحي القيوم) أي الاله اللازم الوجود لذاته المنزه عن حلول الحوادث فيه وحلوله فيها والاتحاد بها هو الله اذ الاله من له غاية الكمال والا لجاز أن يكون كل عال الها سافل ومن لا يلزمه الوجود لذاته كان ناقصا اذ أصله العدم الذي هو غاية النقص وحلول الحوادث يوجب التغير وليس من غاية كمال الى غاية كمال لان المتساويين لا يعلو أحدهما الآخر فضلا عن غاية العلو عليه فلا تعدد لغاية الكمال فلذلك لم يتعدد الاله ولو كان من نقص لزم أن لا يكون الها قبله ولو كان الى نقص لزم أن لا يبقى الها بعده والحلول ان كان حلول المظروف لزم كونه محاطا وهو نقص ولو كان حلول العرض أو الصورة افتقر الى المحل الحادث وهو انقص من الافتقار الى القديم وفي الاتحاد ان لم يبق أحدهما لزم اتحاد الموجود بالمعدوم وان لم يبق لزم فناء القديم

استيسر) أي تيسر وسهل (قوله تعالى انفصام) أي انقطاع (قوله عز وجل اعصار) أي ريح عاصف ترفع ترابا الى السماء كأنه عمود نار (قوله تعالى الحافا) أي الحاحا (قوله عز وجل اذنوا بحرب من الله) أي اعلموا ذلك واسمعوا وكونوا على اذن منه ومن قرأ فآذنوا أي فأعلموا غيركم ذلك (قوله تعالى الانجيل) أفعيل من النجل وهو

ولغاية كماله اقتضى صفات الكمال التى أولها الحياة رتبة لتوقف العلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام عليها ولما كان وحده كاملا بالذات كانت كمالات سائر الاشياء مستفادة منه فكان قيوما وعيسى لم يكن واجب الوجود اذ لم يوجد قبل أمه ولا فى غاية الكمال اذ الله أكمل منه ولا منزها عن الحلول فى الحوادث اذ كان فى السموات والارض ولا عن حلول الحوادث فيه اذ كان آكلا شاربا ولا حيا لذاته لقابليته للموت ولا قيوما لكل ماعداه اذ كان قبله أشياء والازلى اللطيف المنان هو الله اذ لابد للحوادث من مبدا اذ لا وجود لها من ذواتها ويجب أن لا يكون لذلك المبدا ابتداء اذ لابد من الرجوع الى من له الوجود والكمالات لذاته ويجب أن لا يشارك فى كماله لان الكمالات بالذات يجب أن تكون فى الغاية والا لجاز أن يكون فوقه ذات تقتضى كمالات فائقة فيلزم جواز أن يكون كل عال لها بالنسبة الى السافل ولابد أن يكون لطيفا اذ الكثافة من التركيب المسبوق بالاجزاء ولابد أن يكون منانا بافاضة الكمال لانه لما لم يكن لغيره بالذات فلو لم يفض لم يحصل له كمال أصلا فمن بافاضة الحياة التى يتوقف عليها سائر الكمالات بعدما اتصف بها لذاته وبافاضتها صار قيوما لها لان الحياة مقومة للاشياء ففيضها أولى بالتقويم ولم يكن عيسى أزليا لكونه مولودا ولا لطيفا للظهور الكثافة فى جسمه ولا منانا على الكل لسبق كثير من الاشياء عليه والاتم ذاته ولطفه ومجده هو الله لاختصاصه بصفات الكمال بحيث لا يشارك فيها وافاضة الحياة هى أصل الالطاف لتوقف الانتفاع بسائرها عليها وانما أفاضها الكونه حيا لذاته واختصاصه بالقيومية بحيث لم يظهر بها فى غيره وعيسى لم يتم ذاته بالاختصاص بصفات الكمال ولا لطفه بافاضة الحياة على العموم ولا قيوميته اذ لم يكن قائما بذاته مستقلا بها العدم وجوب وجوده والاحد الذى له ملك الكل هو الله اذ لا اله الا هو وقد ملك حياة الكل لانها من فيضه لكونه حيا لذاته بل وجود الكل وسائر صفاتهم مفاضا منه لكونه قيوما للكل وعيسى ليس بأحد لتركيبه ولم يملك حياة الكل ولا وجوده أو غير ذلك مما يناسب المقام ثم أشار الى أن القيومية اما بظهور آثار الاسماء والصفات الالهية أو بظهور صورها بحسب تفاوت المظاهر فالمظهر الكامل يقتضى ظهور صورها لذلك (نزل عليك) يا أكمل المظاهر (الكتاب) الذى هو صورة كلامه المفيدة كمال الحياة وقوام المعاش والمعاد مع التفرقة بالتنزيل نجما بعد نجم للاشعار بأنه وان كان صورة صفة قديمة فهو حادث لكن ليس كالحوادث التى هى آثار بل ملتبس (بالحق) مناسب لصفات كماله ولذلك كان معجزا ولا عجازه كان (مصدقا لما بين يديه) أى معرفا صدق الكتب السالفة (و) انما كان كذلك لانه (أنزل التوراة والانجيل من قبل) وانما أنزلا دفعة لانهما كانا (هدى للناس) هداية عامة تحصل بدفعة بخلاف الخاصة فانها انما تحصل بدفعات كشفا بعد كشف (وأنزل الفرقان) أى اقامة الدلائل ورفع الشبه فى الكتب السالفة وفى هذا الكتاب معا لكنه أيضا دفعى لاجتماعها فى طور العقل بخلاف المعانى الكشفية التى فوق طور العقل فانها

الاصل والانجيل أصل لعلوم وحكم ويقال هو من نجلت الشئ اذا استخرجته وأظهرته والانجيل مستخرج به علوم وحكم (قوله عز وجل اصرى) ثقل وعهدى أيضا (قوله تعالى افترى) اختلق (قوله عز وجل استكانوا) خضعوا (اسرافنا) افراطنا (قوله تعالى انفضوا) تفرقوا

ليست دفعية لانها أمور غير متناهية فمن هنا كان احياء محمد صلى الله عليه وسلم الاحياء المعنوى أتم من احياء عيسى عليه السلام الاحياء المعنوى وكذلك الحسى لان تكليم الحصى أعظم من احياء الموتى فلو كان عيسى بذلك الها فمحمد صلى الله عليه وسلم أولى بها لكنه أقر بالعبودية فعيسى أولى بها ولافادة الهداية الخاصة مع اقامة الدلائل ورفع الشبه كان كل آية منه معجزة فكان الكفر بها أشد من الكفر بالكتب السابقة لذلك قال (ان الذين كفروا بآيات الله) التى هى آيات من جهات شتى (لهم عذاب شديد) فوق عذاب من كفر بالتوراة والانجيل لانه ظهر فيها بكمال عزته فالكافر بها مستهين لعزته ولم يبطل بذلك عزته بل صارت موجبة لقهره كما قال (والله عزيز ذو انتقام) وانما كان هذا الكتاب معجزا مفيدا للهداية الخاصة مع اقامة الدلائل ورفع الشبه لان الله عز وجل لم يخف عليه وجوه الاعجاز التى يعجز بها أهل الارض وأهل الظاهر وأهل السماء أهل الكشوف كما قال (ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء) ولذلك جمع فيه العلوم الظاهرة والباطنة التى لا تتناهى من باب المعادلة والمكاشفة ويدل على عدم خفاء شئ عليه أنه (هو الذى يصوركم فى الارحام) صورا جامعة للاسرار الارضية والسماوية تارة وغير جامعة أخرى (كيف يشاء) وقد جعل آيات كتابه صورا جامعة لمعانى صفة كلامه فى أرحام الالفاظ وصورا فى أرحام المعانى معانى أخر وهلم جرا والكمال العيسوى ان بلغ هذا الحد لم يدل على الهيته اذ غايته أنه صورت الكمالات فى رحمه كما أنه صور جامعا فى رحم أمه وقد شاركه كثير من الانسان فى ذلك فكما لا يدل التصوير فى الارحام الحسية جامعا على الالهية لم يدل فى الارحام المعنوية على ذلك بل كمال هذا التصوير انما يدل على أن الله هو الجامع للكمالات لانه (لا اله الا هو) كيف وليس لغيره جمعيته لانه راعى عزته فى ظهوره فلم يظهر على ما هو عليه فى شئ بل ظهر فى كل شئ بمقدار استعداده رعاية للحكمة فهو (العزيز الحكيم) ويدل على كمال عزته وحكمته انه (هو الذى أنزل عليك) بأظهر العزة والحكمة الالهية (الكتاب) الجامع الذى لا يتأتى جمعيته مع اختصاره الا أن يجعل بعض ألفاظه محتملا لوجوه كثيرة لكنه لعزته جعلها بحيث تفضى الى احتمالات توقع فى الضلال لكن جعل للتحفظ عنها ألفاظا لا تحتمل الا وجها واحدا فكان (منه آيات محكمات) لا تحتمل الا وجها واحدا (هن أم الكتاب) أى الاصل الذى مرجع معانيه عند الاشكال فيها اليه (وأخر متشابهات) تحتمل وجوها بعضها من العلوم الخفية وبعضها كفر أو بدعة ويتميزان بالرد الى المحكمات وفيه رد على نصارى نجران اذ تعلقوا بقوله تعالى وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فدخلوا فى جملة (فأما الذين فى قلوبهم زيغ) أى ميل الى كفر أو بدعة (فيتبعون ما تشابه منه) أى الوجه الذى تشابه فيه الحق والباطل (ابتغاء الفتنة) أى طلب الايقاع فى الكفر أو البدعة أو ايهام التناقض (وابتغاء) حصر (تأويله) فيما يناسب رأيهم الفاسد (وما يعلم تأويله) على سبيل الحصر (الا الله والراسخون فى العلم) لما رأوا الوجوه الكثيرة فى تأويله ومنها ما يؤدى الى الكفر

وأصل النفض الكبر (قوله تعالى ادرؤا) (انانا) فى قوله ان يدعون من دونه الا اناثا أى موات مثل اللات والعزى ومناة واشباهها من الآلهة المؤنثة ويقرأ أشاجع وثن فقلبت الواو همزة كما قيل فى اقتت وقتت ويقرأ أشاجع اناث (قوله عز وجل استهوته الشياطين) أى هوت به

أو البدعة أو التناقض لم يزوا الحصر ولم يردوها الى ما يؤدى الى المحذور بل (يقولون آمنا به) على ما أراد من تلك الوجوه أو غيرها ولا محذور فيها اذ (كل) من المحكم والمتشابه (من عند ربنا) العزيز الحكيم فلا يعدان يرد البعض الى البعض ولا يمكن رد المحكم الى المتشابه اذ لا يحتمل الا وجها واحدا (وما يذكر) الوجوه الكثيرة مميزة من المحذور (الا أولوا الالباب) أى يواظبون العلوم ومع ذلك يخافون من كثرتها الوقوع فى المحذور فيقولون (ربنا لا تزغ قلوبنا) أى لا تملها الى محذور (بعد اذ هديتنا) بأن لها التأويلات الصحيحة الموافقة للمحكمات (وهب لنا من لدنك رحمة) نطلع بها على ما عندك من تأويلاتها الكثيرة سالمة من المحذور (انك أنت الوهاب) أى المبالغ فى الهبة حتى انك تهب ما عندك من اسرار كتابك بعض خواص عبادك ولا يعسر عليك جمع تأويلاتها فى قلوب عبادك مع انها مجتمعة عندك كما انك تجمع المتفرقات يوم القيامة (ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) فيمكنك جمعها فى قلوب بعض عبادك مع نفى الريب عنها كيف وقد وعدت بذلك اذ قلت والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ويهدى اليه من ينيب كما وعدت بالحشر (ان الله لا يخلف الميعاد) وخطر الضلال فى تأويلها منع السلف عن الخوض فيه ولكون الله واهب البعض عباده اسرار تأويلاتها الصحيحة ورخص الخلف فى الخوض فيه ثم أشار الى أن الهبة المعتبرة هى هبة هذه الاسرار دون الاموال والاولاد بل هى مع الكفر سبب مزيد العذاب والى ان التمسك بالمتشابه كالتمسك بقياس أمر الآخرة على أمر الدنيا فى افادة الاموال والاولاد فقال (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ) وان اغنت المؤمنين اذ صرفوا الاموال فى سبيل الله والاولاد الى عبادته (وأولئك) أى الكفار وأموالهم وأولادهم (هم وقود النار) وكيف تنفعهم هناك ولم تنفع آل فرعون فى الدنيا فلم تمنعهم من الغرق بل كانت سبب مزيد عذابهم فسنة كفرة العصر فيها (كدأب) أى سنة (آل فرعون والذين من قبلهم) وان لم يكن سبب أصل العذاب لكن سبب مزيده لانهم (كذبوا بآياتنا) فصرفوها فى غير مصارفها فاجتمعت عليهم معاصى الكفر ومعاصى صرف النعم فى غير مصارفها (فأخذهم الله بذنوبهم) ان رحمهم بالاموال والاولاد أولا اذ (الله) كما هو الرحمن الرحيم فهو أيضا (شديد العقاب) ولو قالوا انما أخذ الله آل فرعون ومن قبلهم لعدم تدينهم بدينه ونحن متدينون بدين موسى (قل للذين كفروا) بهذا الدين كفركم به ككفر آل فرعون بموسى وقد فعل بقريش لكفرهم به ما رأيتم فيفعل بكم ما فعل بهم (ستغلبون) كما غلبوا وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بنى النضير وفتح خيبر وسيفعل بكم ما فعل بآل فرعون آخرا (و) هو أنكم (تحشرون الى جهنم) ولا تتخلصون بأيام قلائل بل مهدت لكم على الابد كما مهدت لهم (وبئس المهاد) لكم كما انها بئس المهاد لهم اذ كان كفركم بآيات محمد عليه السلام ككفرهم بآيات موسى اذ (قد كان لكم آية) كآياتهم (فى فئتين) أى فرقتين (التقتا) للحرب ولا يتصور السحر بعد الالتقاء اتفاقا كيف

و(فئة)

وأذهبته (قوله جل وعلا افتراء عليه) الافتراء العظيم من الكذب يقال لمن عمل عملا فبالغ فيه انه ليفرى الفرى (قوله عز وجل املاق) فقر (قوله عز وجل ادارك علمهم فيها) أى اجتمعوا فيها (قوله عز وجل افتح بيننا) احكم بيننا (قوله عز وجل استرهبوهم) أخافوهم استفزهم من الرهبة (الاهتمك)

و (فئة) منهما (تقاتل فى سبيل الله) وهى أبعد من السحر (وأخرى كافرة) هى ان تكون ساحرة أقرب من ان تكون مسحورة وتلك الآية ان المشركين كانوا تسعمائة وخمسين رجلا مع مائة وتسعين فرسا (يرونهم) أى المسلمين وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر مع فرسين وسبعين بعيرا وستة أدرع وثمانية سيوف (مثليهم) أى مثلى المشركين لا بطريق التخييل بل (رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء) من غير احتياج الى اراءة ذلك لكنه أراهم لتكون عبرة (ان فى ذلك) التكثير والتقليل وغلبة القليل مع عدم العدة على الكثير شاكى السلاح (لعبرة لاولى الابصار) لكن يمنع من الابصار الاخذ بالشهوات اذ (زين للناس) فرج عند توقوهم على مقتضى العقل من الابصار (حب الشهوات) أى الميل الى أخذها التحجزها مع الجهل بعواقبها (من النساء) اذ يحصل منهن أتم اللذات (و) النفس تدعى فيهن العاقبة الحميدة من تحصيل (البنين) لقيامهم مقامه من بعده (و) لحبهم بقاء أنفسهم ونسائهم وبنيهم يحبون تحصيل (القناطير) أى الاموال الكثيرة المنضدة بعضها فوق بعض (المقنطرة) أى المضعفة فوق الاضعاف (من الذهب والفضة و) لمحافظة الاموال عن الاعداء يحبون تحصيل (الخيل المسومة) أى بارعة الجمال اذ هى أهيب (و) لاكلها الاموال يحبون تحصيل الاموال النامية من (الانعام) أى الابل والبقر والغنم (و) لغذاء الانفس والخيل والانعام يحبون تحصيل (الحرث) ثم أشار عز وجل الى غلط النفس فى ترجيح ميلها اليها على مقتضى العقل من الابصار بأن (ذلك متاع الحيوة الدنيا) الخسيسة الفانية (والله عنده) للناظر فى آياته (حسن المآب) الذى لا غاية لشرفه وبقائه وكثيرا ما يكون لاصاحب الشهوات شر المآب فيفوته اللذات الى أبد الآباد (قل أنبئكم بخير من ذلكم) الذى ملتم اليه فى اللذة الحسية حاصل (للذين اتقوا) الله فنظروا فى آياته ولم ينهمكوا فى شهواتهم (عند ربهم) الذى رباهم بالنظر فى الآيات وعدم الانهماك فى الشهوات (جنات تجرى من تحتها الانهار) فى باب المطعوم والمشروب ولا حاجة لهم الى الاموال والاولاد والخيول والانعام والحرث لكونهم (خالدين فيها و) لهم بدل النساء الدنيا (أزواج مطهرة) عن الخبث فى البدن والخلق مما لا يخلو عنه نساء الدنيا غالبا (و) تحصل لهم مع هذه اللذات الجسمانية لذة روحانية هى (رضوان) عظيم (من الله و) اعراض الله عنهم اذ (الله بصير بالعباد) الذين يتقونه مع مبالغتهم فى عبادته لانهم (الذين يقولون ربنا انا آمنا) فان لم يكن لنا عبادة أخرى مقبولة فالايمان وحده سبب جواز المغفرة (فاغفر لنا ذنوبنا) فان لم تغفرها فعذبنا بمصائب الدنيا (وقنا عذاب النار) وليس هذا لانهماكهم فى الشهوات المانعة عن الطاعات الموقعة فى المعاصى لكونهم (الصابرين) على الطاعات وعن المعاصى (و) ليس صبرهم بطريق الرياء لكونهم (الصادقين و) لا يتركون النوافل خوف الرياء لكونهم (القانتين و) لا يقتصرون على الطاعات البدنية ولا يفعلونها لتحصيل الاموال لكونهم (المنفقين) منه فى سبيله (و) لا يحبون بأعمالهم بل يرون فيها التقصير لكونهم (المستغفرين) سيما (بالاسحار) جمع

فى قراءة من قرأ و يذرك والاهتك أى عبادتك (قوله تعالى انسلخ منها) خرج منها كما ينسلخ الانسان من ثوبه والحية من قشرها أى من جلدها (قوله عز وجل إلا ولا ذمة) إلّ على خمسة أوجه إلّ الله عز وجل وإلّ عهد وإلّ قرابة وإلّ حلف وإلّ جوار (قوله عز وجل اقترفوها) اكتسبوها (قوله اثاقلتم) تثاقلتم الى الارض (قوله عز وجل ارصادا) ترقبا

سحر آخر الليل وهو لكونه وقت عموم الغفلة أقرب الى القبول والاجابة قبل المعاملة مع الله اما بمنع النفس من الرذائل وحبسها على الفضائل وهو الصبر أو بعمل اللسان وهو الصدق أو الجوارح وهو الصلاة والصوم والحج أو تفريق المال في سبيل الخير واما بطلب وهو الاستغفار و توسيط الواو للدلالة على الاستقلال لكل واحد من هذه الامور ثم أشار الى انه كيف لا يرضى عن هؤلاء وقد شهدوا توحيده اذ (شهد الله أنه لا اله الا هو) أي دل دلالة قطعية على انه لا موجود حقيقي سوى ذاته فوجودات الاشياء ظلال وجود وصفات كما انها ظلال صفاته وأفعالها آثار ارادته وقدرته (و) ان لم يصلوا اليه وصلوا الى توحيد الملائكة وأولى العلم اذ شهدت (الملائكة وأولوا العلم) اذ رأوا ذلك حال اعتدالهم لانه شهد الله بذلك (قائما بالقسط) من غير ميل ولا يرون في ذلك ظهورا لالهية فيهم اذ (لا اله الا هو) كيف ولم يظهر في شئ على ما هو عليه في نفسه لانه (العزيز) بل بحسب استعداد المحل لانه (الحكيم) واذا لم يكن من حصل له التجلي الشهودي الها تعين ان يقال (ان الدين عند) تجلي (الله الاسلام) الذي هو الانقياد لله باقرار ربوبيته وعبودية ما سواه فبطل بذلك الهية عيسى وابنيته وابنية العزير ولو قيل لو شهد أهل العلم بالتوحيد لم يقل أهل الكتاب بالهية عيسى ولا بثالث ثلاثة أجيب بأنهم لم يتفقوا عليه فلم يكن ذلك مقتضى علمهم لكنهم اختلفوا الى قائل بثالث ثلاثة وقائل بالحلول وقائل بالاتحاد وقائل بالرسالة (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) في عيسى (الا من بعد ما جاءهم العلم) من الكتاب ومن دلائل العقل بأن الدين هو التوحيد ولم يكن اختلافهم لشبهة يعتد بها عندهم بل (بغيا) حصل من مجادلة وقعت (بينهم) فافضت الى الكفر بآيات الله الدالة على التوحيد (ومن يكفر بآيات الله) بشبهات قابلها الله بتلك الآيات الدالة فحاسبها هل ترجح عليها أم ترجح الآيات وهو وان طال على الخلق لا يطول على الله (فان الله سريع الحساب) وقد اثبت بآية لا يقابلها شبهة أصلا (فان حاجوك) بعد اقامة تلك الآيات (فقل) لهم (أسلمت وجهي لله) أي انقدت لآياته المنزلة علي وعليكم (ومن اتبعن) وان لم يتبع أهل ملتكم ما اتبعه أنبياؤكم فقد اتبع أهل ملتي آياتي وآيات أنبيائكم فليس فينا من يتبع مجادلتكم الباطلة (وقل للذين أوتوا الكتاب والامين) عند تساوي آياتك في الظهور والتعريف (ءأسلمتم) لآياتي التي هي أجل من آيات أنبيائكم (فان أسلموا فقد اهتدوا) هدى لا يعترضه شبهة من شبهاتهم لاتفاق آياتي وآياتهم على تصحيحه (وان تولوا) عن هداك وأصروا على القول بالهية عيسى أو بكونه ثالث ثلاثة (فانما عليك البلاغ) أي تبليغ دلائل الاسلام ورفع الشبهة عنه لا الاكراه عليه اذ ما عليك (و) هم وان عموا في عنادهم لم يعموا البصائر فهم ولوتم تلبيسهم على البعض العصاة لم يتم على الله اذ (الله بصير بالعباد) ثم أشار الى انه كما أمر بتبليغ الدلائل أمر بتبليغ ما يترتب على انكارها لا سيما اذا أنكرها بغيا سيما اذا أفضى البغي الى قتل الانبياء فقال (ان الذين يكفرون بآيات الله)

يقال أرصدت الشئ اذا جعلت له عدة والارصاد في الشر ويقال رصدت وأرصدت في الخير والشر جميعا (قوله عز اسمه إي وربي) إي توكيد للاقسام والمعنى نعم وربي قال أبو عمرو إي وربي تصديق (قوله عز وجل انفضوا الى ولا تنظرون) أي امضوا ما في أنفسكم ولا تؤخرون كقوله فاقض ما أنت قاض أي فامض ما أنت ممض (قوله عز وجل الطمس)

التي يعلمون انه لا يقدر عليها الا الله (و) لا يقتصرون على الكفر بها بل مع ذلك (يقتلون النبيين) الذين ظهرت على أيديهم وقد آمنوا بمن ظهرت على أيديهم امثالها فهم يقتلونهم مع علمهم انهم يقتلونهم (بغير حق) اذ لم يدعوا بها محالا ولم يظهر منهم خيانة نفس تدل على انه مصروع خروجه عن مقدرة البشر (و) ان زعموا انهم انما قتلوهم لكذبهم في دعوى النبوة فما لهم (يقتلون الذين يأمرون بالقسط) على انهم (من) جملة عوام (الناس) فعلم ان بغيهم انما هو على القسط الذي أنزله الله فبغيهم عليه بغيهم على الله (فبشرهم) بما تبشر به الكافرين بالله وبجميع أنبيائه (بعذاب أليم) وان زعموا انهم ليسوا مثلهم لتمسكهم بدين عيسى أو موسى وقيامهم بأعماله فقل (أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا) فلا يحقن بها دماؤهم ولا أولادهم ولا أموالهم وان حقن بها من المنافق والمرائي (والآخرة) فلا يخفف بها عنهم العذاب فضلا عن النجاة (و) ان زعموا ان من تمسك بدينه يشفع لهم أو يحتج لهم فقل (مالهم من ناصرين) ثم أشار الى انه كيف لا يحبط أعمالهم وهم لا يقتصرون على الكفر بكتابك بل يكفرون بكتابهم اذ لا يرون اعتقاداتهم به ولا وجوب العمل باحكامه فقال (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله) أي يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى التوراة (ليحكم) بما يقطع النزاع (بينهم) في ان ابراهيم هل كان يهوديا أم لا وهل عندهم الرجم أم لا فيقرون بأنه كتاب الله النازل لقطع النزاع (ثم يتولى فريق منهم و) لا يقتصرون على التولي في محل النزاع بل (هم معرضون) أي مستمرون عليه المحذوه عادة (ذلك) الاستمرار على الاعراض لتساهلهم بأمر الدين وتهاونهم به (بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات) قلائل والاهتمام بأمر الايمان والعمل انما يكون باعتقاد دوامه أو طول مدته (و) ليس ذلك لنص وجدوه في كتابهم بل (غرهم) فأوقع الخلل (في دينهم ما كانوا يفترون) من ان الله وعد يعقوب ان لا يعذب أولاده الا تحلة القسم واذا اغتروا بهذا المفترى في الدنيا (فكيف) يصنعون لفضيحتهم عليه (اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه) لفضحهم في الاولين والآخرين (و) لا يقتصر على تلك الفضيحة بل (وفيت كل نفس) جزاء (ما كسبت وهم) وان تمسكوا بهذا المفترى (لا يظلمون) في توفية الجزاء لظهور كونه مفترى اذ يرفع الاهتمام بأمر الشرائع بالكلية ويوجب التهاون بها ثم أشار الى انهم انما لا ينقادون لحكم الله في كتابه الذي يعترفون بصدقه لدلالته على انتقال الملك والنبوة منهم اليك وهم يريدون ان تتذلل لهم (قل) لا أخاطبكم في ذلك فضلا عن التذلل بل أقول (اللهم مالك الملك) أي المتصرف في الملك الظاهر والباطن وهو النبوة لا تصرف في اعطائهما وسلبهما لغيرك بل (تؤتي الملك من تشاء) ولو من الاميين (وتنزع الملك ممن تشاء) ولو من أهل الكتاب ولا يبعد منك ذلك لان ايتاء الملك اعزاز ونزعه اذلال (و) أنت (تعز من تشاء وتذل من تشاء) لكنك لا تفعل ذلك على سبيل التحكم اذ (بيدك الخير) الذي هو الحكمة فلا تفعل خلاف مقتضاها وان لم يجب عليك بل (انك على كل شيء قدير) ولا يبعد منك قلب

أي امح أي أذهبه من قولك طمس الطريق اذا عفا ودرس (قوله عز وجل إجراها) مصدر أجرمت اجراما (قوله تعالى اعتراك بعض آلهتنا بسوء) أي عرض لك بسوء ويقال قصدك بسوء (قوله استعمركم فيها) جعلكم عمارا لها (قوله ارتقبوا انى معكم رقيب) انتظروا انى معكم منتظر (استعمركم) أي امتنع (قوله عز وجل استيأسوا)

الاعزاز بالاذلال وبالعكس لانك تقلب بعض اجزاء الليل المظلمة باجزاء النهار المنيرة وبالعكس اذ (توليج الليل فى النهار وتوليج النهار فى الليل و) لو قيل لاقلب هناك لان الزمان أمر متوهم فلا شك انك (تخرج الحى من الميت) أى الحيوان من النطفة (وتخرج الميت من الحى) أى النطفة من الحيوان واعطاء الملك والنبوة احياء ونزعهما اماتة بل لاقلب ههنا فان اعطاء الملك والنبوة رزق (و) أنت (ترزق من تشاء بغير حساب) ففاية أمر النبوة انها فضيلة بلا نهاية ثم أشار الى انه لما كان من شأن الله قلب المنير بالمظلم والحى بالميت وهو بالمصاحبة أقرب وجب ترك تلك المصاحبة فقال (لا يتخذ المؤمنون) أولو الانوار الاحياء (الكافرين) أولى الظلمات الاموات (أولياء) سيما (من دون) أى مجاوزين موالاة (المؤمنين) الذين هم سبب ازدياد النور والحياة والجبر لما نقص بصحبة الكفار (ومن يفعل ذلك) فى وقت من الاوقات (فليس من) موالاة (الله) مفيض الحياة والانوار (فى شئ الا) وقت (أن تتقوا منهم تقاة) أى تخافوا منهم محذورا فاظهروا صعهم الموالاة لدفعها (ويحذركم الله) فى موالاتهم بالباطن (نفسه) التى هى أولى بالخوف لانهم انما يؤثرون بمكنته ويعجزون بتعجيزه (و) ان أثروا فهو منقطع والخوف من الله لا ينقطع اذ (الى الله المصير قل) كيف لا تخافون منه مع شمول علمه وقدرته (ان تخفوا ما فى صدوركم) من موالاة أعداء الله (أو تبدوه) زاعمين أنكم انما توالونهم بالظاهر خيفة منهم (يعلمه الله) وان أخفيتم علينا فى الاخفاء والاظهار وكيف (و) هو (يعلم) جميع (ما فى السموات وما فى الارض والله على كل شئ قدير) فيقدر على ما لا يقدر عليه الاعداء وهم انما يقدرون باقداره على أمور معدودة ويعجزون عنها بتعجيزه ولا يعجز الله بحال فليس تركه المجازاة لعجزه بل لانه أخرها الى يوم القيامة فيجازيكم بعد اعلامكم (يوم تجد كل نفس) جميع (ما عملت من خير محضرا) بصور يناسبها وهيئات فى بدنها أو نفسها أو قلبها أو روحها أو فى صحف الملائكة وكفى بذلك تلهذا مع انه يجازى عليها بمقتضى فضله وجوده الكامل (و) تجد (ما عملت من سوء) أيضا محضرا بصور بحيث يتألم بمجرد حضورها حتى انها (تود لو أن بينها وبينه) أى عملها السوء (أمدا بعيدا) لا يصل أحدهما الى الآخر ثم انه عز وجل يجازى عليها بمقتضى قهره وغضبه (و) لذلك (يحذركم الله نفسه و) لا ينافى ذلك رحمته ورأفته لانه انما حذرهم برأفته اذ (الله رؤف بالعباد) لرحمهم اذا خافوه فاذا لم يخافوه فكأنما أخرجوا أنفسهم من دائرة رحمته ورأفته ولو قالوا انما نحبهم لكونهم عباد الله فحبهم محبة الله ولا يحذرنا الله على محبته ومحبة ما نحبه من أجله (قل) انما يفيد كم محبتكم لله اذا أحبكم عليها وهى محبتكم أولياءه الذين يستعملونكم اعمالا يحبها ويجنبونكم اعمالا يكرهها وأجلهم انا (ان كنتم تحبون الله) أى تميلون اليه لرؤية الكمال الحقيقى فيه (فاتبعونى) فى الاعمال المحبوبة له الكاشفة عن جماله وترك الاعمال المكروهة له الحاجبة عنه (يحببكم الله) أى يقربكم من جناب قربه ويبوئكم فى جوار قدسه ويكشف الحجب عن قلوبكم (ويغفر لكم ذنوبكم) الحاجبة عنه

استعملوا من يشت (قوله اصدع بما تؤمر) افرق وامضه ولم يقل به لانه ذهب به الى المصدر أو اراد فاصدع بالامر (استفزز) أى استخف (قوله عز وجل اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم) أى احبس نفسك عليهم ولا ترغب عنهم الى غيرهم (قوله عز وجل استبرق) هو ثخين الديباج وهو فارسى معرب (قوله

من افراط محبته لكم اذ لا يبالى لذنوب المحبوب كيف (والله غفور رحيم) لمن يكمل محبته له ثم قال (قل) لا تفتروا بانفعرانه على مجرد المحبة منكم بل (أطيعوا الله) الذى تدعون محبته فان المحب لمن يحب يطيع (و) أطيعوا (الرسول) الذى هو محبوبه فان المحب كما يطيع المحبوب يطيع محبوب المحبوب (فان تولوا) زاعمين انه لا حاجة للمحب الى اطاعتهما فلا يحبهم الله لانهم كفروا بانكار وجوب اطاعتهما والكفر عداوة منافية للمحبة (فان الله لا يحب الكافرين) ثم أشار الى انه لا يبعد ان يجعل الله بعض عبيده محبوبا له بحيث يحب من يتبعه ويطيعه ويبغض من خالفه وعصاه فذلك من سنته فيما مضى (ان الله اصطفى آدم) فأحب من سجد له من الملائكة وأبغض من لم يسجد له وهو ابليس ومن عصاه وهو قابيل (ونوحا) فنجى من اتبعه فى السفينة وأغرق من عصاه حتى ابنه كنعان (وآل ابراهيم) اذ جعل فيهم موسى جاور بمن اتبعه البحر وأغرق من عصاه (وآل عمران) اذ جعل فيهم عيسى أبرأ من اتبعه من العمى والبرص وجعل من خالفه خنازير (على العالمين) أى على عالمى زمانهم ثم ان اصطفاء الله لآل ابراهيم وآل عمران انما كان لكونهم (ذرية) ورثت الاصطفاء (بعضها من بعض و) لا يبعد اصطفاء الله محمدا صلى الله عليه وسلم لدعوة ابراهيم مع كونه من ذريته وقد اصطفى آل عمران لدعوة امرأته لذريتها بمجرد القبول والاعاذة من الشيطان اذ (الله سميع) لمن يدعو (عليم) بمن يستحق اجابة الدعوة (اذ قالت امرات عمران) حنة بنت فاقوذ حين حملت بعد ما أمسك عنها الولد حتى اسنت فبينما هى تحت ظل شجرة أبصرت طائرا يطعم فرخا فتحركت وقالت اللهم لك على ان رزقتنى ولدا ان أتصدق به على بيت المقدس (رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا) أى خالصا لخدمته لا أشغله بشئ من أمورى (فتقبل منى انك أنت السميع العليم) فقال لها زوجها ما صنعت أرأيت ان كان فى بطنك شئ لا يصلح لذلك (فلما وضعتها) أى الانثى التى حملتها (قالت) تحزنا وتحسرا أو اعتذارا (رب انى وضعتها أنثى) وكنت رجوت ان يكون ذكرا وانما تحسرت أو اعتذرت اذ جهلت قدرها (والله أعلم بما وضعت) أى بعظم شأن ما وضعت لا يحيط به علم غيره (وليس الذكر) الذى طلبت (كالانثى) التى وهبت اذ فضلت كثيرا من كمل الاولياء من الرجال (و) قالت جبرا لما توهمت من النقصان (انى سميتها مريم) أى العابدة والخادمة ليطابق اسمها فعلها ثم طلبت عصمتها فى ذلك الفعل وغيره فقالت (وانى أعيذها بك) أى اجيرها بحفظك (وذريتها من الشيطان الرجيم) أى المطرود لخاف الفتك فلا تجعل عليها وعلى ذريتها له سلطانا يكون سببا لطردهما (فتقبلها ربها) بسبب تحريرها وتسميتها واستعاذتها (بقبول حسن) بجعلها فوق كثير من الاولياء (وأنبتها نباتا حسنا) بجعل ذريتها من كبار الانبياء (و) من كمال تربيتها انها (كفلها زكريا) حين حملتها حنة الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وكانوا سبعة وعشرين وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها اذ كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال زكريا انا أحق بها عندى خالتها وهى

عز وجل ارتد اعلى آثارهما اقصصا) أى رجعا بقصان الاثر الذى جاء فيه (قوله إسرا) أى عجبا ويقال داهية (قوله تعالى انتبذت من أهلها) أى اعتزلتهم ناحية وبقال قعد نبذة ونبذة أى ناحية (قوله عز وجل الحاد) ميل عن الحق (قوله عز وجل اخسؤا فيها) ابعدوا وهو ابعاد بكره (قوله عز

ايشاع بنت فاقوذ فأبوا الا القرعة وانطلقوا الى نهر فالقوا فيها اقلامهم على ان من ثبت قلمه فى الماء وصعد فهو أولى بها فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فبنى لها بيتا وجعل له سبعة أبواب يغلق عليها اذا خرج عنها فصارت فى صغرها بحيث (كلما دخل عليها زكريا المحراب) أى الغرفة التى بنى لها (وجد عندها رزقا) فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء (قال يا مريم أنى لك) أى من أين لك (هذا) الرزق الآتى فى غير أوانه والابواب مغلقة (قالت هو من عند الله) ينزلها من الجنة (ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) ولا يكون ذلك على العمل المحصور فهو منه تفضل فكذا تفضل على فهذا اصطفاه لآل عمران ثم بنبوة عيسى عليه السلام ثم أشار الى ما حصل لزكريا من تربيتها ورؤية كمالها فانه لما رأى رزق مريم قال ان الذى قدر على ان يأتى بفاكهة فى غير أوانها بلا سبب لقادر على ان يهب لى ولدا فى غير أوانه بلا سبب يعتد به أو يصلحنى وزوجتى للولادة (هنالك دعا زكريا ربه) ليريه بابقاء عمله وعمله ونبوته بعده (قال رب هب لى) مناسبا لحالى (من لدنك) بغير سبب يعتد به (ذرية طيبة) أى طاهرة عن الاعمال الطالحة والاخلاق الرديئة (انك سميع) أى مجيب (الدعاء) فأجابه الله فأرسل اليه الملائكة (فنادته الملائكة) جبريل واشياعه (وهو قائم) فى مناجاة الله فلا دخل للشيطان فى ذلك الوقت اذ كان (يصلى) وهو انما ينتهز وقت الغفلة وليست وقت الغفلة والوسوسة فى حق الانبياء عليهم السلام سيما وقد كان (فى المحراب) أى فى المسجد فكانت صلاته كاملة (أن الله يبشرك) على ألسنتنا (بيحيى) أى بمسمى به لانه يحيا به ذكره وعمله وعلمه فلا ينقطع بموته شئ من ذلك بل يكمل به أمر عيسى الذى طلب هذا من رؤية كرامة أمه اذ يكون (مصدقا) بعيسى الذى حصل (بكلمة من الله) بلا واسطة أب فيصير معليا لكلمة الله (و) انما يكمل به أمر عيسى لانه يكون (سيدا) يتبعه قومه وكيف لا (و) هو ان يكون (حصورا) أى مبالغا فى حبس النفس عن الشهوات بحيث لا يهم بمعصية أصلا (و) لغاية كماله يكون (نبيا) ولا شك فى نبوته اذ يكون (من الصالحين) فلا يتوهم منه الدعوى الكاذبة (قال) زكريا (رب أنى) أى كيف (يكون) أى يحصل (لى غلام وقد بلغنى الكبر) أى أدركنى الكبر الكامل المانع من الولادة تسع وتسعون سنة فهل أرد الى الشباب (وامرأتى عاقر) أى مستمرة على العقر لم تلد فى شبابها فكيف بعد ما كبرت وبلغت ثمانا وتسعين سنة (قال) جبريل (كذلك) يكون لك الولد على الحال التى أنت وزوجتك عليها فلا تلد بعده لان الله تعالى لا يحتاج الى سبب بل (الله يفعل ما يشاء قال) زكريا (رب اجعل لى آية) أى علامة أعرف بها الحمل لاستقباله بالبشاشة والشكر واستريح من مشقة الانتظار (قال) الله على لسان جبريل (آيتك ألا تكلم الناس) أى لا تقدر على مكالمتهم (ثلاثة أيام) مع قدرتك على تسبيح الله وذكره لا لاستغراقك بالله لانك تشتغل بهم الا انك لا تكلمهم (الا رمزا) اشارة بنحو يد ورأس (واذكر ربك كثيرا) لتستفيض منه الانوار فتفيضها على ولدك (وسبح) طهر نفسك من الاخلاق الرديئة وقت ظهور النفس (بالعشى) من العصر الى الغروب

رجل انك) أسوأ الكذب افتراء بما فتعله واختلقه (الاربة) الحاجة (قوله عز وجل اطيرنا) أصله تطيرنا ومعنى تطيرنا تشاءمنا (قوله عز وجل اقصد فى مشيك) اعدل ولا تتكبر ولا تذب ذبيا والقصد مابين الاسراف والتقصير (قوله عز وجل اسوة) اتمام واتباع (قوله عز وجل اناه) بلوغ وقته ويقال أنى يأنى

(والابكار) من الفجر الى الضحى ثم أشار الى مزيد اصطفاء مريم فقال (واذ قالت الملائكة يامريم) فيه اشارة الى جواز تكليم الملائكة الولى و يفارق النبى فى دعوى النبوّة (ان الله اصطفاك) بالتقريب والمحبة (وطهرك) عن الرذائل المدوم مناسبتك له الجاذبة لك اليه (واصطفاك) بالتفضيل (على نساء العالمين) وفيهن واليات (يامريم اقنتى) أى اعبدى شكرا (لربك) على اصطفائه (واسجدى) أى كثرى له السجود بتكثير الصلاة تزدادى قربا بغاية التذلل له (واركعى مع الراكعين) أى وصلى بالجماعة لينضم انكسارهم لعظمته الى انكسارك فتزدادى قربا وأشار بتقديم السجود وتأخير الركوع مع الراكعين الى ان الركوع وان كان أقل افادة للتقريب فهو اذا كان مع الراكعين أكثر افادة له من السجود حال الانفراد ثم أشار الى ان كرامات مريم صارت آية لنبينا عليه السلام اذ (ذلك من أنباء الغيب) لا تذكره اليهود لانكارهم فضلها ولا النصارى لدلالته على عبوديتها وهم يزعمون بربوبيتها (نوحيه اليك) مطابقا لما فى كتبهم مع اخفائهم اياه بل لا تعلم ما يظهرونه اذ لم تسمع من أحدهم شيأ وهم معترفون بذلك فلم يبق الا الوحى أو تكون لديهم (و) لكن (ما كنت لديهم) معاينا لفعلهم (اذ يلقون) فى النهر (أقلامهم) ليعلموا (أيهم) تخرج قرعته فهو (يكفل مريم) كيف (وما كنت لديهم) فى ابتداء شأن هذه القرعة (اذ يختصمون) فى كفالتها فمن أين لك الاحاطة بجميع أحوالها الا بالوحى ولا يبعد الوحى اليك وقد أوحى الى مريم وليست بنبية (اذ قالت الملائكة يامريم) ازالة لغمها من تهمة الولادة بلا أب (ان الله يبشرك) بمولود يحصل (بكلمة منه) بلا واسطة أب (اسمه) الذى يميزه لقبا (المسيح) وعلما (عيسى) وصفة (ابن مريم) اذ لا أب له ولو كان له الهية أو بنية لكان فى اسمائه ما يدل على ذلك ولا يكون مذللا بنسبته الى الام بل يكون (وجيها فى) أهل (الدنيا) يعظمونه غاية التعظيم (و) أهل (الآخرة) كيف (و) هو (من المقربين و) يدل على قربه ظهور الارهاصات عليه قبل النبوّة اذ (يكلم الناس) كلام الانبياء وهو (فى المهد و) يستمر عليه الى ان يصير (كهلا) فلا يتوهم فيه انه كان فى حال الصبا من الشيطان لانه استمر عليه الى حال كمال العقل وكيف يتوهم فيه (و) هو (من الصالحين) والشيطان انما يداخل الفساق (قالت) مخاطبة لله الذى بعث اليها الملائكة كأنها شاهدته (رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال) لها جبريل (كذلك) أى على الحالة التى أنت عليها من عدم مس البشر اذ (الله يخلق ما يشاء) ولا يحتاج الى سبب بل (اذا قضى أمرا) أى حكم بايجاد شئ (فانما يقول له كن فيكون) من غير توسط حادث (و) يرفع عنك التهمة بما يظهر عليه من الكمالات اذ (يعلمه) بلا واسطة معلم من البشر (الكتاب والحكمة) أى العلم الظاهر والباطن (و) يكلمها فيه اذ يعلم (التوراة) المشتملة على الظواهر (والانجيل) المشتمل على البواطن (و) كيف يبقى التهمة ويجعله (رسولا الى بنى اسرائيل) الذين يعلمون انه يجب ان يكون كاملا وولد الزنا

وآن يتين بمنزلة حان يحين
(قوله عز وجل امتازوا) اى اليوم أيها المجرمون) اى اعتزلوا من أهل الجنة وكونوا فرقة على حدة (قوله عز وجل اصلوها) أى ذوقوا حرها يقال صليت النار و بالنار اذا لذعك حرها و يقال اصلوها أى احترقوا بها (قوله عز وجل فاستفتهم) أى سلهم (قوله عز وجل الباسين) يعنى الياس وأهل دينه بجمعهم

ناقص وتكون له معجزات قاهرة اذ يتحداهم (أنى قد جئتكم بآية) قاهرة تعاون بالضرورة
كونها (من ربكم) لعجزكم عنها وهى (أنى أخلق لكم) أى لاجل اعجازكم صورة (من الطين
كهيئة) أى كصورة (الطير فانفخ فيه) أى فيما اخلق (فيكون) أى يصير (طيرا)
حقيقيا ذا حياة (باذن الله) أى أمره لا باستقلال منى (وأبرئ الاكمه) الممسوح العين
(والابرص) الذى لا يقبل الدواء بمجرد الدعاء وافعل ما هو أبلغ من ذلك (و) هو أنى (أحيى
الموتى باذن الله) لا باستقلال منى نفيا لتوهم الالهية فهذه معجزات قاهرة فعلية (و) من
معجزاتى القولية انى (أنبئكم) أى أخبركم (بما تأكلون وما تدخرون) لاولادكم
أو للمستقبل فتتركونه (فى بيوتكم ان فى ذلك لآية) أى دلالة (لكم) على صدقى (ان كنتم
مؤمنين) مصدقين بآيات الله فانها لم تقف فيما مضى على ذلك (و) ليست معجزاتى لاضلالكم
حتى تشكوا فيها بل لاهدائكم اذ كنت (مصدقا لما بين يدى من التوراة) المشهورة بالاهداء
(و) لكنى نسخت بعض أحكامها انى جئتكم (لاحل لكم بعض الذى حرم عليكم) فيما
ظلمكم كأكل الشحوم والعروق ولحوم الابل والعمل فى السبت (و) ليس ذلك من
الاضلال لانى (جئتكم بآية من ربكم) تدل على وجه تحريمها فى ذلك العصر وتحليلها فى هذا
العصر (فاتقوا الله) فى تحريم ما أحل ولو بعد التحريم (وأطيعون) فى تحليل ما حرم فى ذلك
العصر لدلالة معجزاتى على صدقى ولم يظهر لى من خباثة النفس ما يشكك فى تلك المعجزات اذ
أدعوكم الى عبادة الله (ان الله) هو (ربى) ان تجلى فى بهذه الامور فأنا عبده كما انكم عبيده
(و) هو (ربكم فاعبدوه) بمقتضى أمره فى كل عصر (هذا) المذكور من تحليل الشئ فى
عصر وتحريمه فى آخر بمقتضى مصالح الازمنة (صراط مستقيم) يايصال الحكمة غايتها فى
أقرب المسافات ولو وصلت على خلافه بعدت المسافة ولما رأوه ينسخ بعض أحكام التوراة
كفروا به (فلما أحس عيسى) أى أدرك ادراك المحسوسات (منهم الكفر) عند اظهارهم
اياه بايذائهم له (قال) مع ماله من معجزة الاحياء الذى القدرة عليه بالاستقلال قدرة على الاماتة
بلا آلة مختبرا ايمان المخلصين ولذلك لم يكتف بنصر الله (من) الجمع الذين هم (أنصارى) ولا يعسر
عليهم كثرة المؤذين لانهم يضمون أنفسهم (الى الله) فى نصره الكافى وحده (قال الحواريون)
اى المنسوبون الى الحور وهو البياض لاستنارة قلوبهم (نحن) أنصارك لانا (آمنا بالله)
ونصرك نصره لانك داع اليه بأمره وكيف لا ننصر الله وقد (آمنا بالله) ومقتضاه نصره
والانقياد لاوامره فانقدنا لاوامره التى بلغتها منه (واشهد) أيها الداعى الى الايمان المبلغ
للاحكام لننقاد لها (بأنا مسلمون) اى منقادون من كل وجه فى الظاهر والباطن ثم اشهدوا الله
الامر بما أنزل من الايمان به وبأوامره المقتضى لاتباع رسوله فى العمل بمقتضاها فقالوا
(ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول) فأشهدنا لك على ما نحن عليه لصدقنا فى دعواه (فاكتبنا)
جزاء على اشهادنا اياك (مع الشاهدين) على ايمان الخلائق وكفرهم وأعمالهم الظاهرة
والباطنة بالكشف عن بواطنهم بزيادة انارة قلوبنا فوق انارتها للايمان والانقياد للاحكام

بغير اضافة بالياء والنون
على العدد كان كل واحد
اسمه الياس وقال بعض
العلماء يجوز أن يكون
الياس والياسين بمعنى
واحد كما يقال ميكال
وميكائيل ويقرأ على آل
ياسين أى على آل محمد صلى
الله عليه وسلم (قوله عز
وجل اشمأزت) معناه
نفرت والمشمئز النافر
(قوله عز وجل اصفح
عنهم) أى أعرض عنهم

أو مع الشاهدين للحقائق (و) لما قصدوا ايذاء عيسى وخافوا سوء دعوته وقتال حواريه (مكروا) فوكلوا عليه من يغتاله (ومكر الله) بالقاء شبهه على بعضهم وجعله بحيث لا يصلون اليه أبدا وجعلهم مضروبين بالبغضاء دائما وهو أشد عليهم من تضررهم به (و) ذلك اذ (الله خير) اى اغلب (الماكرين اذ قال الله يا عيسى) اعلاما له بمكره بالاعداء وتخليصه عن مكرهم (انى متوفيك) اى آخذ بكليتك (و) لا أدع لك شهوة طعام ولا شراب فتحتاج الى مساكنة الارض لانى (رافعك الى) أى الى سمائى (و) انما أرفعك لانى (مطهرك من) جوار (الذين كفروا) لئلا يصل اليك من آثارهم شئ (و) كما أجعلك فوق أهل الارض فأنا (جاعل الذين اتبعوك) من المسلمين والنصارى (فوق الذين كفروا) بك من اليهود يغلبونهم (الى يوم القيامة) قيل لم يبق لليهود بعد ذلك ملك ودولة (ثم) لا أقتصر فى حقهم على ذلك بل (الى مرجعكم) للتحاكم (فأحكم) لقطع النزاع (بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) من الايمان والكفر وغيرهما (فأما الذين كفروا) بك فانهم وان آمنوا بموسى وسائر الانبياء (فأعذبهم عذابا شديدا) كعذاب من كفر بالكل (فى الدنيا) بالقتل والاسر والجزية (والآخرة) بالنار والحيات والعقارب وضرب الزبانية والسلاسل والاغلال وغير ذلك (و) هم وان آمنوا بالانبياء الماضين (مالهم) أحد منهم (من ناصرين) بالشفاعة أو الاحتجاج أو الدفع قهرا (وأما الذين آمنوا) بك وبكل من آمنت بهم (وعملوا الصالحات) وان كان فيها ما نسخ بعض أحكام التوراة (فيوفيهم أجورهم) مثل أجور من عمل بما فى التوراة قبل النسخ ولا يعطى العامل بما نسخ منها شيأ بعد النسخ لانه ظالم (والله لا يحب الظالمين) بمنع النسخ أو بالقول بالهية عيسى أو ابنيته أو بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكيف لا يكون منكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ظالما بعد ظهور آياته التى من جملتها (ذلك) المذكور لنا (نتلوه عليك) من غير ان يكون لك اطلاع سابق عليه مع انه (من الآيات) المعجزة بذاتها (و) بجمعها وجوه الحكمة لانها من (الذكر الحكيم) المفيد شرف القائل به لتفوقه بوجوه الحكمة وكيف لا يكون القائل بالهية عيسى ظالما يجعله فوق آدم لتوله بلا أب مع انه دون آدم (ان مثل عيسى) اى شأنه العجيب الموهم لبنيته مطابقا لما (عند الله كمثل آدم) فى الحدوث بلا أب بل دونه لان الله تعالى (خلقه من تراب) محدث بلا أبوين (ثم قال له) أى لتكوينه انسانا بنفخ الروح فيه (كن) انسانا حيا وأمره يفيد قوة التكون (فيكون) هذا هو المثل (الحق) اى الثابت الذى لا يقبل التاويل جاء (من ربك) الذى ربك بالاطلاع على الحقائق (فلا تكن من الممترين) بما ورد فى الانجيل من اطلاق لفظ الاب على الله فانه اطلاق مجازى لانه لما حدث منه كان كأبيه واذا ظهر لك الحق من ربك بالبيان التام (فمن حاجك) اى جادلك (فيه) لاثبات ابنيته بظواهر الانجيل (من بعد ما جاءك من العلم) القطعى الموجب لتأويله (فقل) لم يبق بيننا وبينكم مناظرة ولكن نرفع عناد كم بطريق المباهلة (تعالوا) اى هلموا بالعزم (ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) أى يدع كل

وأصل الصفح أن تصرف عن الشئ فتوليه صفحة وجهك أى ناحية وجهك وكذلك الاعراض هو أن تولى الشئ عرضك أى جانبك ولا تقبل عليه (قوله اللغو افيه) وهو من اللغا وهو الهجر والكلام الذى لا تضح فيه (قوله عز وجل اعثرنا عليهم) أى قدروه بالعنف (قوله تعالى ان نظن الا ظنا) معناه ما نظن الا ظنا

منا ومنكم أعزة أهله وأصدقهم بقلبه ممن يخاطر الرجل بنفسه لهم ويحارب دونهم ويدع نفسه
أيضا (ثم نبتهل) أى نتضرع الى الله تعالى فى دعاء اللعنة (فنجعل لعنت الله على الكاذبين) منا
ومنكم ليهلكهم الله وينجى الصادقين فلا يبقى العناد الباقى عليكم بعد اتفاق الدلائل
العقلية والنقلية روى أنه عليه السلام قرأ الآية على وفد نجران ودعاهم الى المباهلة فقالوا
حتى ننظر فلما خلوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل
فى أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ونبت صغيرهم فان أبيتم الا الف
دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا
الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة خلفه وعلى خلفها وهو يقول لهم اذا أنا دعوت فأمنوا
فقال لهم أسقفهم يا معشر النصارى انى لأرى وجوها لو سألوا الله عز وجل أن يزيل جبلا
من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا (ان هذا) اى خلق عيسى بأمر الله لا بمجامعته
مريم (لهو القصص الحق و) كيف يجامعها ولا جزء له ينفصل بمجامعته اذ (ما من اله الا الله)
فكما لا يتعدد افراده لا يتعدد أجزاؤه والا لوجب اتصاف كل جزء منه بالكمالات الموجبة
للالهية ذلك الجزء (و) لو كان له جزء لم يتذلل بمجامعة امرأة أرضية لانه (ان الله لهو العزيز)
ولو اشتهى ذلك لمنعته حكمته لانه (الحكيم) فحكمته تحفظ عليه عزته (فان تولوا) اى
أعرضوا عن القول بعبودية عيسى عليه السلام فهم مفسدون اعتقادهم واعتقاد غيرهم
فى الله فلا يقبوله (فان الله عليم بالمفسدين) يجازيهم بمقدار افسادهم (قل يا أهل الكتاب)
المطلعين على الاعتقادات السالمة لاوجه لاعراضكم عن دعوتى الى القول بعبودية عيسى
(تعالوا الى كلمة سواء) أى قول معتدل لا يميل الى التعطيل ولا الى الشرك متفق عليها (بيننا
و بينكم) وهى (ألا نعبد الا الله) اى لا نرى غيره مستحقا للعبادة فنعبده (ولا نشرك به شيأ)
فى كمال صفاته التى به الهيته (ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا) اى آلهة صغارا مع علمنا بكونهم فى
الكمال (من دون الله) والالهية انما هى بغاية الكمال (فان تولوا) عن هذه الكلمة السواء
المتفق عليها (فقولوا) خرجتم عن دين الله الذى هو الاسلام ولكن (اشهدوا بأنا مسلمون)
لتكون شهادتكم سبب نجاتنا وهلاككم ولما قالوا لا نخالف فى هذه الكلمة ولكنك تزعم
انك على ملة ابراهيم وتخالف اليهود والنصارى وكان ابراهيم يهوديا أو نصرانيا فقال لهم
عز وجل (يا أهل الكتاب) الذين حقهم أن لا ينطقوا بما لا علم لهم به (لم تحاجون) أى تجادلون
(فى ابراهيم) انه كان فى أحد الفريقين ولا شك ان اليهودية بعد انزال التوراة والنصرانية بعد
انزال الانجيل (وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده) التوراة بعده بألف سنة والانجيل
بعده بألفى سنة (أ) تجعلونه على شريعة كانت بعده بهذه المدة (فلا تعقلون ها أنتم هؤلاء) اى
تنبهوا أيها المشار اليهم بالاشارة القريبة لدناءة عقولهم (حاججتم فيما لكم به علم) من أمر محمد
صلى الله عليه وآله وسلم انه مذكور فى كتابكم فأمكنكم تغييره لفظا أو معنى (فلم تحاجون فيما
ليس لكم به علم) من امر ابراهيم اذ لا ذكر له فى كتابكم فلا يمكنكم فيه التغيير (والله يعلم) فيبينه

لنبيه

لا يؤدى الى يقين انما
يخرجنا الى ظن مثله (قوله
عز وجل انشزوا) أى
ارتفعوا عن مواضعكم
حتى توسعوا لغيركم يقال
قعد على نشز من الارض
أى مكان مرتفع ونشز ٣
(قوله استحوذ عليهم
الشيطان) أى غلب عليهم
الشيطان واستحوذ مما
أخرج على الاصل ولم يعل
ومثله استروح واستنوق
الجمل واستصوبت رأيه

٣ (قوله ونشز بمعنى بتحريك
الشين صحيح

تنبيه (و) ان لم يعلمكم ذلك (أنتم لا تعلمون) وان كنتم منتسبين اليه (ما كان ابراهيم) لو كان على شريعة التوراة والانجيل (يهوديا ولا نصرانيا) اى معتقدا اعتقادهم اليوم فى عزير وعيسى (ولكن كان حنيفا) اى مائلا عن الاعتقادات الفاسدة (مسلما) اى منقادا للاعتقادات الصحيحة (و) لو كان لشئ من اعتقاداتهم اليوم فلا شك انه (ما كان من المشركين) بالقول بابنية عزير أو عيسى أو بالهيتهما ثم ما زعمتم انكم أولى به لان شريعته كانت موافقة لشريعة التوراة والانجيل ممنوع بل (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه) قبل نزول التوراة والانجيل اذ لم يتغير عليهم شئ من شريعته (وهذا النبى) الناسخ لما نسخ التوراة والانجيل من شريعته (والذين آمنوا) به فعملوا بشريعته الموافقة لشريعة ابراهيم ثم قال (و) لو كنتم موالين له بالعمل بشريعته وكانت منسوخة بهذه الشريعة لم يفدكم موالاته اذ لا يوالكم الله اذ (الله ولى المؤمنين) ثم أشار الى أن اهل الكتاب انما ادعوا يهودية ابراهيم أو نصرانيته لانكم تزعمون انكم على ملته فأرادوا ان يلزموكم اليهودية أو النصرانية لانه (ودت) اى أحبت (طائفة من أهل الكتاب) الذين حقهم محبة الاهداء لو يضلونكم) بالقائهم شبهة يهودية ابراهيم أو نصرانيته لكنها انما تم لو صحت يهوديته أو نصرانيته (و) اذا لم تتم ثبت اضلالهم فى هذه الدعوى فهم (ما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون) أنه يعود اضلالهم الى أنفسهم اذا عجزوا عن اثبات هذه المقدمة ثم قال انكم انما تدعون الناس الى اليهودية والنصرانية لظهور الآيات على يدى موسى وعيسى عليهما السلام (يا أهل الكتاب) المؤمنين بآيات موسى وعيسى (لم تكفرون بآيات الله) الظاهرة على يدى محمد صلى الله عليه وسلم مع انها اجل من آياتهما (وأنتم تشهدون) آياته وقد سمعتم آيات موسى وعيسى والمشهود أولى بالترجيح من المسموع ثم أشار الى أن هذه الآيات لو لم تكن أجل فلا تكون أقل الا عن تلبيسكم (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) فتجعلون تكليم الحصى وشق القمر من السحر دون احياء الموتى وشق البحر (و) قد صدقه كتابكم لكنكم (تكتمون الحق) اى الثابت فى كتبكم (وأنتم تعلمون) ما هو مراده وان غيرتموه بتأويلكم الفاسد (و) من تلبيسهم الحق بالباطل أنه (قالت طائفة من أهل الكتاب) اثنا عشر من يهود خيبر (آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا) من نسخ التوراة (وجه النهار) اى أوله (واكفروا آخره) فقولوا نظرنا فى كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذى فى كتابنا (لعلهم) اى أصحاب محمد (يرجعون) عن دينه اذ يتوهمون أنهم بعد ترك العناد انما رجعوا لانهم علموا حاله (و) من كتمانهم الحق أنهم قالوا (لا تؤمنوا) اى لا تظهروا تصديقكم بمحمد لكونه فى كتابكم (الا لمن تبع دينكم) اى لمن علمتم استقراره على اليهودية (قل) كاتبكم تهدون الناس باليهودية لكنها لم تبق هدى بعد مجىء محمد صلى الله عليه وسلم (ان الهدى هدى الله) وليس هدى الله بعد مجيئه صلى الله عليه وسلم بمقتضى التوراة التى

(قوله تعالى امتحنوهن) أى اختبروهن (قوله عزوجل اسعوا الى ذكر الله) بادروا بالنية والجد ولم يرد العدو والاسراع فى المشى (اتمروا بينكم بمعروف) أى ليأمر بعضكم بعضا بالمعروف (قوله استغشوا ثيابهم) تغطوا بها (قوله التفت الساق بالساق) آخر شدة الدنيا بأول شدة الآخرة ومعنى التفت أى التصقت من قولهم امرأة لفاء اذا

حصرتم هدى الله فيما الاهداء لكنكم تكتمون انه هدى الله بعد مجيئه كما ان التوراة هداه قبل مجيئه كراهة (ان يؤتى احد) من هدى الله (مثل ما أوتيتم) فضلا عن الفاضل فى التقريب من الله وافادة الثواب (أو) كراهة اظهار أن (يحاجوكم) اى يغلبوكم بالحجة (عند ربكم) فانكم تكرهون ظهور ذلك لما فيه من ذهاب رياستكم ورشاكم (قل ان) الاخفاء انما يمنع الاتيان لو كان الفضل بيدكم لكن (الفضل بيد الله) ولا يمكنكم منعه فانه مع منعكم اياه (يؤتيه من يشاء) كيف (و) منعكم تضييق عليه ولا يمكن اذ (الله واسع) وان أمكنكم التضييق فهو (عليم) يدفعه عن نفسه فيزيده اخفاؤكم ثم ان اخفاءكم فضل المؤمنين انما يتأتى لو ساووكم فى الفضل أو نقصوا لكن الله (يختص برحمته من يشاء) فيزيده فضلا عليكم كيف (و) فضله ليس منحصرا فيما أعطاكم اذ (الله ذو الفضل العظيم) ثم أشار الى أنه لا يبعد منهم التلبيس وقد ظهرت فيهم الخيانة فى أقل شئ ويبعد من مؤمنهم وقد ظهرت فيهم الامانة فى شئ عظيم فقال (ومن أهل الكتاب) عبد الله بن سلام أودعه رجل من قريش ألفا ومائتى أوقية من الذهب فاداه اليه فهو (من ان تأمنه بقنطار) مال منضد بعضه على بعض (يؤده اليك) وان لم تطالبه فيبعد منه التلبيس لان أمانته مع الخلق تدل على امانته مع الله فلا يفترى عليه انه ماذكر فى كتابه نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومنهم من) فنحاص بن عازوراء استودعه قرشى دينارا فلم يؤده اليه فهو (ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك) لكونه فى غاية الخيانة بحيث يخون فى غير شئ (الا مادمت عليه) اى على رأسه (قائما) بالمطالبة والترافع واقامة البينة فلا يبعد منه الخيانة مع الله بكتمان ما أمر باظهاره طمعا فى ابقاء الرياسة والرشا عليه (ذلك) اى الدليل على خيانتهم مع الله انهم يعتذرون عن الخيانة مع الخلق اذا ظهرت بالافتراء على الله لان اعتذارهم (بأنهم قالوا ليس علينا فى) مال (الاميين) الذين ليسوا من أهل الكتاب (سبيل) الى ذم وعقاب فهم يخونون مع الخلق (ويقولون) فى الاعتذار عنه (على الله الكذب) فيخونونه ايضا (وهم يعلمون) أنه كذب محض ليس لهم فيه نص قطعى ولا ظنى مبينا ولا دلالة (بلى) النص الالهى أن (من أوفى بعهده) أوفى الله عهده ومن نقض عهده نقض الله عهده واداء الامانة من وفاء العهد بل من التقوى (و) قد نص على ان من (اتقى فان الله يحب المتقين) فلو لم يكن عليهم سبيل لكان حقهم ان يستأثروا محبة الله على كل شئ ثم أشار الى أنهم متى يبالون بعهد الناس ولم يبالوا بعهد الله اذ يستبدلونه وكيف يتقون الله فى أمانات الخلق ولم يتقوه فى أمانته وهى وجوب تعظيمه اذ يهتكونه بالأيمان الكاذبة فقال (ان الذين يشترون بعهد الله) اى يأخذون بدله بتغييره (وأيمانهم) اى وبأيمانهم الكاذبة يبدلونها فيأخذون (ثمنا قليلا) اى شيأ حقيرا من الدنيا الحقيرة التى لا نسبة لجمعها الى أدنى ما فقدوه (أولئك لا خلاق) اى لا نصيب ثواب (لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله) بما يرضيهم (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) نظر الرضا (ولا يزكيهم) عما يوجب العقاب (ولهم عذاب أليم) بالنار والتوبيخ ونظر الغضب والهيآت الظلمانية وذلك لانهم انما أخذوه بعدم رؤيتهم فى ايفاء

التصقت نخذاها ويقال هو من التفاف ساق الرجل عند الساق يعنى عند موقد روح العبد الى ربه ويقال التفت الساق بالساق مثل قولهم شمرت الحرب عن ساقها اذا اشتدت (قوله تعالى انكدرت) انتثرت وانصبت ومنه قول العجاج أبصر خربان فضاء فأنكدر (وهو طائر واحده خرب وهو ذكر الحبارى)

عهده ورعاية تعظيمه نصيبا من ثواب الآخرة ولا من مكالمة الله بما يرضيهم ولا بنظره بالرضا اليهم ولم يريدوا التزكية عن موجب العذاب وكيف لا يكون كذلك (وان منهم لفريقا) لا يقتصرون على تغيير العهد بمجرد التأويل بل (يلوون) اى يخرقون (ألسنتهم) فيظهرون أن كلامهم ملتبسة (بالكتاب لتحسبوه) اى لتتوهموا انه (من) ألفاظ (الكتاب وما هو من الكتاب) لفظا ولا تأويلا (و) لا يقتصرون على الايهام بل يصرحون اذ (يقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) تنصيصا ولا استنباطا (و) بالجملة لا يألون بالله اذ (يقولون على الله الكذب) فى كتابه وغيره (وهم يعلمون) أنهم يكذبون ثم انهم كما كذبوا على الله كذبوا على رسله اذ زعموا أن عيسى أمرهم أن يتخذوه ربا فرد الله تعالى عليهم بأنه (ما كان) يصح من الله الذى لا يعطى مرتبة النبوة الا لمن علم أنه يقوم بحقها أن يجمع هذه الفضائل (لبشر) مع بقاء بشريته التى لا بد من بقائها أبدا (أن يؤتيه الله الكتاب) اى علم الاعتقادات والاخلاق (والحكم) اى الشريعة (والنبوة) ليدعو الى الله (ثم يقول للناس) الذين بعثه الله اليهم ليدعوهم الى عبادته وحده (كونوا عبادا لى) فاتخذونى ربا (من دون الله) لان ذلك استنقاص لهم (ولكن) يستكملهم اذ يقول لهم (كونوا ربانيين) اى منسوبين الى الرب بالتخلق بأخلاقه أو بالتحقق بها أو بالفناء فيه والبقاء به (بما كنتم تعلمون الكتاب) الناس فان ثواب تعليمه ينيرقلوبكم فيبدل أخلاقه أو ينزل بها نور التجلى الشهودى (وبما كنتم تدرسون) اى تقرؤن فانه يجركم الى الله تعالى وهذا لو كان التعليم والقراءة لله تعالى وحده (ولا يأمركم) أيها المأمورون بالربانية بما هو غاية النقص (أن تتخذوا الملائكة والنبيين) الذين هم وسايط ما بينكم وبين الله (أربابا) استئنافا لكم عن عبادة الله الى عبادتهم على انه رد الى الشرك الذى بعثوا لمحوه (أيأمركم بالكفر) اى بالعود اليه (بعد اذ أنتم مسلمون) اى بعد استقراركم على الاسلام الذى تحملوا فيه المتاعب الكثيرة ثم ذكرانهم كما قالوا على الله ورسله ما لم يقولوه كتموا على الله ورسله ما بالغوا فى الامر ببيانه من أمر كل رسول جديد مؤكدا بالايمان به والنصرله فقال (واذ أخذ الله ميثاق النبيين) اى العهد الوثيق من كل نبى صادق أن يقولوا لامهم عن لسانى (لما آتيتكم من كتاب وحكمة) اى ان الذى آتيتكم من الكتاب وأسراره فانما آتيتكم لتعرفوا طريق الهداية وتجعلوه أصلا ترجعون اليه اذا أشكل عليكم الامر فاذا جعلتموه أصلا (ثم جاءكم رسول) بالمعجزات (مصدق لما معكم) وان كان ناسخا لبعض أحكامكم بما دلت الحكمة على اقتضاء الزمان ذلك (لتؤمنن به) لانه اجتمع فيه شاهدان المعجزات والهداية (و) لا تقتصرون على الايمان بل (لتنصرنه) أيضا مبالغة فى تشهير أمره ثم بالغ الله على الانبياء بمراجعة أممهم اذ (قال أقررتم) اى هل أخذتم اقرار قومكم بقبوله (وأخذتم على ذلكم اصرى) اى عهدى الثقيل (قالوا أقررنا) اى أخذنا اقرارهم مع المبالغة (قال فاشهدوا) عليهم لتلزموهم اذا أنكروا (و) ان لم يحج الى

(قوله انفطرت) أى انشقت (قوله تعالى انشق القمر) اذا تم وامتلأ فى الليالى البيض ويقال انشق استوى (قوله اليهم) رجوعهم (قوله عز وجل ارم) أبو عاد وهو عاد بن ارم ابن سام بن نوح ويقال ارم اسم بلدتهم التى كانوا فيها (قوله اقتحم العقبة) هى عقبة بين الجنة والنار والاقتحام الدخول فى الشئ والمجاوزة له بشدة وصعوبة (وقوله عز وجل فلا اقتحم

شهادتكم سوى المبالغة اذ (أنا معكم من الشاهدين) واذا بالغ الله تعالى هذه المبالغة فى أخذ الانبياء ميثاق أقوامهم على هذا النهج البليغ (فمن تولى بعد ذلك) اى أعرض عن هذا العهد فلم يؤمن بالرسول المذكور ولم ينصره (فأولئك) وان كانوا من أهل الكتاب (هم الفاسقون) اى الخارجون عن دائرة أهله بالحقيقة فلا عبرة بشهادتهم ولا باخبارهم فان قالوا هذا الرسول ليس مصدقا لهم لانهم دعوا الى ربوبية أنفسهم قيل لهم (أ) يطلب الانبياء من الناس اتخاذهم أربابا وهذا دين المشركين (فغير دين الله) الذى هو التوحيد (يبغون) اى يطلبون لاتباعهم (و) ليس هذا مقتضى كمالهم فى التجلى الشهودى اذ (له أسلم من فى السموات) من أهل الفناء والبقاء (والارض) من عوام المؤمنين والكفار (طوعا) ان كان من أهل البقاء أو مؤمنا (وكرها) ان كان من أهل الفناء او كافرا فلا يدعى الالهية إلا له لانفسه وكيف (واليه يرجعون) فى التوحيد فلا مساغ لغيره فى دعوى الالهية أصلا ولو قالوا أنتم تطلبون بترك اليهودية والنصرانية غير دين الله (قل) لهم (آمنا بالله) ويهود هذا الزمان ونصاراه أشركوا به (وما أنزل علينا و) ان كان فيه ما ينسخ بعض أحكام التوراة والانجيل فهو موافق (ما أنزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) فلو اخل نسخنا للتوراة والانجيل لادخل نسخكم لما أنزل على هؤلاء (و) مع ذلك أيضا صدقنا (ما أوتى موسى وعيسى والنبيون) وان اختلفت شرائعهم لكونها (من ربهم) اى الذى ربى كلا بما هو مصلحته وهم وان تفاوتت شرائعهم كمالا ونقصا (لا نفرق بين أحد منهم) بالايمان بالبعض والكفر بالبعض لان التفاوت فيها بتفاوت استعدادات الامم (و) لا نجعل بعضهم أربابا و بعضهم عبيدا بل (نحن له مسلمون) فهذا هو الاسلام الذى هو الانقياد لربوبية الله وأوامره فى كل عصر (ومن يبتغ) اى يطلب (غير الاسلام دينا) فاتخذ البعض أربابا وصدق البعض دون البعض وآمن بالمنسوخ دون الناسخ (فلن يقبل منه) اذ لم ينقد لامر الله فى عصره وان انقاد لما أمر به من قبله (و) لا يحصل ثواب من عمل بالدين المنسوخ قبل نسخه بل (هو فى الآخرة من الخاسرين) للأجر على الناسخ والمنسوخ جميعا وكذا أجر ما صح من الاعتقادات والاعمال والاخلاق لان الكفر محبط للكل وكيف لا يكونون خاسرين فى الآخرة وقد خسروا وجوه الهداية فى الدنيا اذ (كيف يهدى الله قوما كفروا) بالرسول بعد مجيئه (بعد ايمانهم) به قبل مجيئه اذ رأوه فى كتبهم (و) ليس هذا الكفر مجرد نقضهم الميثاق بالايمان بكل رسول يأتيهم مصدقا لما معهم بل مع ذلك (شهدوا أن) هذا (الرسول حق و) هو وان لم يعين زمانه ومكانه وقبيلته وسائر مشخصاته يكفيهم انه (جاءهم البينات) التى آمنوا لمثلها ولما دونها بموسى وعيسى عليهما السلام فظلموا بحقه الثابت ببيناته وتصديقه الكتب السماوية (والله لا يهدى القوم الظالمين) فلا يجازيهم جزاء أهل الهداية وان اهتدوا بالايمان ببعض ما فى كتبهم بل (أولئك جزاؤهم) جزاء الظالمين بالكفر الكلى

العقبة) أى لم يقتحمها ولم يجاوزها ولا تكون مع الماضى بمعنى لم مع المستقبل كقوله ان تغفر اللهم تغفر جما وأى عبد لك لا ألما أى أى عبد لك لم يلم بذنب أخذه من اللمم وهو من الصغائر (قوله عز وجل انبعث أشقاها) انفعل من البعث والانبعاث هو الاسراع فى الطاعة للباعث وأشقاها هو قدار بن سالف عاقر الناقة (قوله

وهو (أن عليهم لعنة الله) الذي بعث الرسل وأعطاهم البينات وواثق بالايمان بكل رسول جاءهم بالبينات مصدقا لما معهم ونص على الرسول (والملائكة) الذين جاؤا بالرسالة أو شهدوها (والناس أجمعين) من المؤمنين الذين آذوهم والكافرين الذين وقعوا في الكفر بسببهم يتسلطون عليهم مجتمعين ويبقون في اللعنة (خالدين فيها) لا ينقص عنهم أصلا لذلك (لا يخفف عنهم العذاب) وان آمنوا ببعض ما في كتبهم (ولا هم ينظرون) لينتفعوا بثواب ذلك البعض لو حصل ثوابه (الا الذين تابوا) فانهم لا يبقون في اللعنة ولو (من بعد ذلك) الكفر بعد الايمان (وأصلحوا) عقائدهم من أضلوهم بازالة الشبهات عنهم (فان الله غفور رحيم) لانه لما سقطت التبعات عن المضلين سقطت عن المضلين أيضا اذ كانوا سبب اسقاطها أيضا (ان الذين كفروا بعد ايمانهم) فيه اشارة الى أن اضلال الكافر الاصلي ساقط بالتوبة وان مات المضل كافرا (ثم ازدادوا كفرا) باضلال غيرهم (لن تقبل) في حق من أضلوهم (توبتهم) اذ لم يزيلوا شبهاتهم (وأولئك) بترك شبهاتهم (هم الضالون) وفيه اشارة الى أنهم لو يمكنهم ازالتها بالموت أو بالغيبة البعيدة يرجى عفوها وكيف تقبل توبتهم ولا بقي باضلالهم حسناتهم لو مات المضلون كفارا (ان الذين كفروا) باضلالهم (وماتوا وهم كفار) اتركهم الشبهات عليهم (فلن يقبل من أحدهم) فضلا عن جمع منهم (ملء الارض ذهبا) لو تصدق به المضل وأعطى المضل عوضا عن اضلاله فانه لا ينتفع به (و) كذا (لو) وحده و (افتدى به أولئك) لو أعطوا ثوابه لم ينتفعوا به اذ (لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) من ثواب يدفعه أو حجة أو شفاعة ثم أشار الى أن انفاق المال وان لم يقع فداء للكافرين فهو في نفسه شريف اذ (لن تنالوا البر) اي بر الله رحمته ورضوانه (حتى تنفقوا) في سبيله (مما تحبون) اي بعض محبوباتكم من المال أو الجاه أو النفس (و) ليس المطلوب انفاق النصف أو الثلث أو الربع بل (ما تنفقوا من شئ) حقير او عظيم (فان الله به عليم) يجازيكم بقدره وانما كان انفاق المحبوب سبب نيل البر لان ترك المحبوب من أجله من أسباب التقرب اليه لذلك تقرب يعقوب عليه السلام بترك أحب الطعام اليه اذ كان به عرق النسا فنذر ان شفي لم يأكل أحب الطعام اليه وهو لحم الابل ولبنه فدل هذا على أنه (كل الطعام) اي الحلال في دين محمد عليه السلام (كان حلا لبني اسرائيل) في عهد ابراهيم وبقيه عليهم السلام قبل ظلمهم ولم يحرم عليهم بعد ظلمهم (الا ما حرم اسرائيل) وهو يعقوب عليه السلام (على نفسه) بنذره فكان تحريم يعقوب (من قبل أن تنزل التوراة) ولم يكن تحريم ابراهيم كما قالت اليهود واعترضوا بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم انك تزعم انك على ملة ابراهيم وكان لا يأكل لحوم الابل وألبانها وأنت تأكلها فقال عليه السلام كان ذلك حلالا لابراهيم فقالوا كل ما تحرمه اليوم كان حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا (قل) ان كذبتموني (فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) في أنها كانت محرمة في دين ابراهيم وان التوراة لم تنسخ شيأ من أحكامه فاذا لم تأتوا بها علم أنكم

(تعالى انحر) أي اذبح ويقال انحر ارفع يدك بالتكبير الى نحرك

• (باب الباء المضمومة) •

(قوله بلاء) على ثلاثة أوجه نعمة واختبار ومكروه (وقوله عز وجل بارئكم) خالقكم (قوله عز وجل باؤا بغضب من الله) انصرفوا بذلك ولا يقال باء الا بشر ويقال باء بكذا اذا أقر به أيضا (قوله عز وجل بديع) أي مبتدع (قوله بث فيها) أي فرق فيها (قوله باغ)

تفترون على الله بأنه قال باستناع النسخ مع انه لا يمنع عقلا (فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك) أى ظهور نسخ التوراة أحكام ملة ابراهيم (فأولئك هم الظالمون) بالتحكم على الله ومنعه من رعاية مصالح الازمنة واذا كانت التوراة ناسخة لبعض أحكام ملة ابراهيم (قل صدق الله) فيما ذكر فى هذا الكتاب من جواز النسخ وانه نسخ به ما نسخ التوراة من أحكام ملة ابراهيم (فاتبعوا ملة ابراهيم) وهو مقتضى امتناع النسخ أيضا كيف وليس فى ملته ما فى يهودية اليوم ونصرانيته من الاعتقادات الفاسدة اذ كان (حنيفا) أى مائلا عن الاعتقادات الفاسدة كيف وفى يهودية اليوم ونصرانيته شرك اثبات الولد أو الالهية عيسى (وما كان من المشركين) وكيف تزعمون أنكم على ملة ابراهيم وقد كانت قبلته الكعبة بل قبله آدم وكيف تنكرون نسخ التوراة أحكام ملة ابراهيم وقد نسخت القبلة بصخرة بيت المقدس (ان أول بيت وضع للناس) أى لتوجههم اليه فى الصلاة لتجتمع قلوبهم فى تلك الجهة مع تفرقهم فى العالم (للذى ببكة) أى مكة لان الارض دحيت من تحتها فهى مبدأ الجسم الترابى فتوجهه اليه يوجب توجه الروح الى مبدئه واعتبار المبدئية يقتضى الاولوية ولم تكن الصخرة قبلة ابراهيم ومن قبله اتفاقا ولدحو الارض من تحتها كان (مباركا) لان بركات الارض انما خرجت ببسطها فكانت فى الاصل تحتها فيرجى للمتوجه اليه البركات المعنوية (و) لكون التوجه اليه توجها الى الله كان (هدى للعالمين) كيف وقد كوشف بالتوجه اليه فى الصلاة وبالطواف حوله الحقائق الالهية والكونية كيف و (فيه آيات بينات) رمى الطير أصحاب الفيل بحجارة من سجيل وتجميل عقوبة من عتا فيه واجابة دعاء من دعا تحت ميزابه واذعان النفوس لتوقيره من غير زاجر ومن أعظمها النازل منزلة الكل (مقام ابراهيم) الحجر الذى قام عليه عند رفعه قواعد البيت كلما علا الجدار ارتفع الحجر فى الهواء ثم لين فغرقت فيه قدماه كأنهما فى طين فبقى أثره الى يوم القيامة (و) من آياته أن (من دخله كان آمنا) من نهب العرب وقتالهم وقد أمن صيده وأشجاره وكيف تنكرون كون الحج من دين ابراهيم وقد نسخته التوراة فنسخ بسخها هذا الكتاب فقال (ولله) أى ويجب للتقرب اليه (على الناس حج البيت) أى قصد زيارته من عرفات لنزوله منزلة بيت الله لو كان له مكان ولكن انما يجب على (من استطاع اليه سبيلا) اى قدر على الذهاب اليه والرجوع الى بيته بوجدان الزاد والراحلة مع نفقة الاهل (ومن كفر) بفرضية الحج فلا يبالى به كما لا يبالى بفرضيته وهو أولى بعدم المبالاة لغناه على الاطلاق (فان الله غنى عن العالمين قل يا أهل الكتاب) لزاعمين انهم يؤمنون بجميع آيات الله (لم تكفرون بآيات الله) فى بيته وآيات التوراة الدالة على وجوب الحج فى ملة ابراهيم وآيات محمد عليهما السلام ولا تقتصرون على الكفر بها بل تحرفونها لفظا أو معنى (والله شهيد على ما تعملون قل يا أهل الكتاب لم) لا تقتصرون على انكار فرضية الحج بل مع ذلك (تصدون) الناس (عن سبيل الله) الذى جعله سبيلا لابراهيم ومحمد عليهما السلام وقومهما فتمنعون عن الحج (من آمن تبغونها) بالقاء

طالب (وقوله غير باغ ولا عاد) أى لا يبغى الميتة أى لا يطلبها وهو يجد غيرها ولا عاد أى لا يعدو شبعه (وقوله عز وجل باشروهن) أى جامعوهن والمباشرة الجماع سمى بذلك لمس البشرة البشرة ظاهر الجلد والادمة باطنها (وقوله بسطة فى العلم) أى سعة من قولك بسطته اذا كان مجموعا ففتحته ووسعته (وقوله وزادكم فى الخلق بسطة) أى طولا وتماما كان أطولهم

الشبهات (عوجا) لئلا يبقى المؤمن به على ايمانه (وأنتم شهداء) انهم على الحق بنصوص كتابكم لكنكم تحرفونها (وما الله بغافل عما تعملون) من تحريفها والقاء الشبه على من يأخذ بمقتضاها (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم أن لا تقلدوا أحدا ولو أهل الكتاب لانكم (ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب) بحسن اعتقادكم فيهم لكونهم أهل الكتاب (يردوكم بعد ايمانكم) بالتوحيد والنبوة (كافرين) الكفر الذى كنتم عليه من الشرك وانكار النبوة اذ يرضون بالرد اليه دون البقاء على التوحيد والاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وكيف تكفرون) بالله لقولهم (وأنتم تتلى عليكم آيات الله) التى هى أجل من الآيات المتلوة عليهم (و) ان لم تذركوا اعجازها فارجعوا الى رسوله اذ (فيكم رسوله و) من لم يجد رسوله يكفيه الاعتصام به فانه (من يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) فى ادراك اعجاز آيات الله ورفع الشبه عنها ثم أشار الى أنه انما يتم ادراك الحجج ورفع الشبه بكمال التقوى المفيدة تزكية النفوس وتصفية القلوب فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) باستفراغ الوسع فى القيام بالواجبات والمستحبات واجتناب المحرمات والمكاره ولا تغفلوا عن الشبهات فانه يخاف معها الموت على الكفر (ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) أى وقد رفعت شبهاتكم ثم أنه يقع بالتزكية والتصفية أنواع من الخلل كانحراف المزاج وتلبيس الشيطان (و) لدفعها (اعتصموا بحبل الله جميعا) أى بكتابه فى اعمال التصفية والتزكية وفى المكاشفة ثم الاعتصام بالكتاب انما يتم بالاجتماع على طلب الحق لا بالجدل الباطل الداعى الى الافتراق (و) لذلك قال (لا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم) بتأليف قلوبكم لتجتمعوا على طلب الحق (اذ كنتم أعداء) فقلب عداوتكم بالمحبة (فألف بين قلوبكم) وأزال افتراقكم المشتت لامورکم (فأصبحتم) اى صرتم (بنعمته اخوانا) متحابين فى الله مجتمعين على الخيرات متعاونين على البر والتقوى (وكنتم) بتلك العداوة (على شفا) اى طرف (حفرة من النار) بالقتال والنهب والاسر (فانقذكم منها) قيل كان الاوس والخزرج أخوين وقع بين أولادهما العداوة والحروب مائة وعشرين سنة ثم رفعت بالاسلام (كذلك) اى مثل ذلك البيان (يبين الله لكم آياته) فى كل مكان لانقاذكم عن الضلال فيه (لعلكم تهتدون) لرشدكم الدينى والدنيوى فيه ثم أشار الى انه كما أنقذكم من النار والضلال بارسال الرسل وانزال الآيات فليكن فيكم من ينقذ اخوانه فقال (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير) اى الايمان (و يأمرون بالمعروف) اى بكل معروف من واجب ومندوب يقربهم الى الجنة ويبعدهم من النار (وينهون عن المنكر) اى عن كل منكر من حرام ومكروه يقربهم الى النار ويبعدهم من الجنة (وأولئك) الداعون الآمرون الناهون (هم المفلحون) الفائزون بأجور أعمالهم واعمال من تبعهم (ولا تكونوا كالذين) فرقوا أنفسهم واخوانهم من النار لانهم (تفرقوا) بالمجادلة الباطلة (واختلفوا) فى الاعتقادات

طوله مائة ذراع وأقصر هم طوله ستون ذراعا (بكة) اسم لبطن مكة لانهم يتباكون فيها اى يزدحمون ويقال بكة مكان البيت ومكة سائر البلد وسميت مكة لاجتذابها الناس من كل أفق يقال امتك الفصيل ما فى ضرع الناقة اذا استقصى فلم يدع منه شيأ (بيت) تدر بليل يقال بيت فلان رأيه اذا فكر فيه ليلا ومنه قوله فجاءها

الواجبة (من بعد ما جاءهم البينات) القاطعة التى لابد منها فى باب الاعتقادات (وأولئك) وان زعموا ان اختلافهم وقع عن اجتهادهم (لهم عذاب عظيم) فوق عذاب المعاصى الفرعية لانهم اتبعوا الشهوات وتركوا قواطع الادلة التى لامجال للاجتهاد فى مقابلتها (يوم تبيض وجوه) لاتباعها الادلة القاطعة التى هى الانوار الساطعة (وتسود وجوه) لاتباعها الشبهات المظلمة ليستدل بذلك على ايمانهم وكفرهم ايجازى كل بمقتضى حاله (فأما الذين اسودت وجوههم) فيقال لهم (أكفرتم) باتباع الشبهات فى باب الاعتقادات (بعد) موجب (ايمانكم) من الدلائل القاطعة فانتم وان اخترتم ذلك عن اجتهاد (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) اذ لايغفر بالاجتهاد لانه أقيمت الادلة القاطعة فى مقابلة شبهها (وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله) لاتباعهم الادلة القاطعة التى أقامها الله من اتبعها رحمة مؤبدة لذلك (هم فيها خالدون تلك) المذكورات واجبة لاعتقادها لانها (آيات الله) لابمجرد التخويف بل (نتلوها) من مقام عظمتنا المقتضية كمال الصدق (عليك) يا أكمل الرسل فلا ينزل عليك مافيه نقيصة الكذب لمجرد التخويف بل (بالحق) اى الثابت وكيف يكون لمجرد التخويف وهو ظلم بالتسوية بين المحسن والمسىء وليس من المظالم الجزئية بل الكلية (وما الله يريد ظلما للعالمين و) هو وان كان متصرفا فى ملكه اذ (لله مافى السموات ومافى الارض و) لكن (الى الله ترجع الامور) وهو حكيم يرى مخالفة الحكمة ظلما لمافيه من وضع الشئ فى غير موضعه فلا يفعل خلاف الحكمة بمقتضى السنة وكيف لا تبيض وجوهكم ولاتخلدون فى رحمة الله ولا تفلحون وقد (كنتم خير) كل (أمة) كأنها (أخرجت) أى استنبئت من الناس (للناس) لانتظام أمورها (تأمرون بالمعروف) فتكلمونهم (وتنهون عن المنكر) فتدفعون عنهم النقائص (و) قد كملتم فى أنفسكم اذ (تؤمنون بالله و) لمجرده كنتم خيرا من أهل الكتاب اذ (لو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم) وان لم يتعد خيرهم الى غيرهم اذ لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ولعلمهم بخيريته (منهم المؤمنون) كعبد الله بن سلام (و) لاينافى ذلك كفر الاكثرين به اذ (أكثرهم الفاسقون) فى الفرعيات فلا يعد فسقهم فى الاعتقادات لغلبة الهوى فى حقهم على مقتضى علمهم لذلك يقصدون اضرارهم لكن (لن يضروكم) لكونكم خير خلق الله فيعينكم الله (الا أذى) باللسان (وان يقاتلوكم) بالسيف أو المناظرة (يولوكم الادبار ثم لا ينصرون) أى لايكون لهم الكرة عليكم أبدا وكذلك كان حال قريظة والنضير وبنى قينقاع ويهود خيبر وبكابرتهم مع الله العزيز ومع أعزة عباده من خيار المؤمنين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر (ضربت عليهم الذلة) أى جعلت عليهم كالقبة المضروبة فى الاحاطة (أينما ثقفوا) أى فى أى مكان وجدوا بحيث لايمكنهم السكون فيه (الا) معتصمين (بحبل من الله) وهو الايمان بالله ورسوله فى الظاهر (وحبل من الناس) أى وبعقد ذمة أو هدنة أو أمان من الناس (و) هو لايفيدهم عند الله لانهم (باؤا) أى رجعوا عن الايمان برسوله قبل مجيئه بعد مجيئه فالتبسوا (بغضب من

بأسنا بيانا أى لبيان وكذلك يتهم العدو (وقوله تعالى بهيمة) كل ما كان من الحيوان غير ما يعقل ويقال البهيمة ما استبهم عن الجواب اى استغلق (قوله تعالى بحيرة) وهى الناقة اذا نتجت خمسة أبطن فان كان الخامس ذكرا نحروه فأكله الرجال والنساء وان كان الخامس أنثى بحروا أذنها اى شقوها وكانت حراما على النساء

الله و) لايمكنهم العود الى عزتهم لانهم (ضربت عليهم المسكنة) المستلزمة للذلة (ذلك) أى ضرب الذلة والمسكنة والغضب (بأنهم) استكبروا على الله اذ (كانوا يكفرون بآيات الله و) زادوا عليه اذ عاندوا مع الله اذ كانوا (يقتلون الانبياء) عالمين بأنه (بغير حق) موجب ظنى ولا قطعى (ذلك) الكفر وقتل الانبياء (بما عصوا و) ليس كما عصى الجهو ولانهم (كانوا يعتدون) أى يجاوزون التوسط الى الغاية فغضب الله عليهم بجرهم الى الكفر ثم انهم وان كان فيهم الاعتداء الموجب للغضب (ليسوا سواء) أى مستوين حتى لا يعتد بايمان من آمن منهم ويحمل على النفاق بل (من أهل الكتاب) الذى شأنه التأثير فاذا لم يعم فلابد من نوع منه تأثر به (أمة قائمة) بما فى التوراة على أكمل الوجوه حتى يتدينوا بدين محمد صلى الله عليه وسلم الناسخ لبعض أحكامها (يتلون آيات الله) المنزلة على محمد صلى الله عليه وسلم (آناء) اى ساعات (الليل وهم) يصلون صلاة التهجد (يسجدون) فيها وان لم يكن فى دين اليهود فيفيدهم مزيد تقرب وقت عموم الغفلة فهذا يدل على أنهم (يؤمنون بالله) فينقادون بجميع آياته (و اليوم الآخر) فيجانبون الغفلة ثم لا تقتصر خيراتهم على أنفسهم بل تتعدى الى العموم (و) لذلك (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر و) ليست لطلب الرياسة لانهم (يسارعون فى الخيرات) وطالب الرياسة يتبع هواه فلا يمكنه المسارعة الى الخيرات فى عموم الاوقات (و) ان صحت لهم المسارعة الى الخيرات فلا يظهر عليهم أثرها وقد ظهر على هؤلاء فعلم أن (أولئك من الصالحين) وانما ميز بينهم و بين اخوانهم حيث غضب على اخوانهم وجعل هؤلاء من الصالحين لانهم مسارعون فى الخيرات كيف (وما تفعلوا من خير فلن تكفروه) بفعل الاخوان (والله) وان غضب على اخوانهم جعلهم من الصالحين لتقواهم لانه (عليم بالمتقين) واذا كانت التقوى كافية فى ذلك فالمسارعة الى الخيرات زيادة على الكفاية ولو قيل كيف غضب على اخوانهم وقد أنعم عليهم بالاموال والاولاد أجيبوا بأنها مما ليس من الانعام فى حق الكفار فى الآخرة اذ لا يدفعان غضبه عليهم فقيل (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ) وان كان التصدق بالاموال يطفئ غضب الرب فى حق المؤمنين و يغفرون بموت أولادهم أو استغفارهم (و أولئك) اى الكفار وأموالهم وأولادهم (أصحاب النار) اى ملازموها يزدادون بها عذابا ولو كانت مفيدة لهم لم يتأت لهم الانتفاع بها اذ (هم فيها خالدون) ولا يفيدهم التصدق بها التخفيف اذ (مثل ما ينفقون) مع أن الغالب أنهم ينفقونه (فى) استجلاب فوائد (هذه الحيوة الدنيا) من طلب الثناء أو دفع البليات فان كان للآخرة فهو حرث أصابه الكفر ومثله فى اهلاك ما أصابه (كمثل ريح فيها صر) أى برودة شديدة (أصابت حرث قوم) فاهلكته فكذا ريح الكفر اذا أصابت حرث انفاق قوم (ظلموا أنفسهم فاهلكته) فصار الظلم ريحا لحصوله من هوى النفس ذات برودة شديدة لكونه ظلم الكفر الذى هو الموت المعنوى فاهلكته (وما ظلمهم الله) باهلاك حرثهم

لحمها وابنها فاذا ماتت حلت للنساء والسائبة البعير يسيب بنذر يكون على الرجل ان سلمه الله من مرض أو بلغه منزله أن يفعل ذلك فلا يحبس عن رعى ولا ماء ولا يركبها أحد والوصيلة من الغنم كانوا اذا ولدت الشاة سبعة أبطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبح فأكل منه الرجال والنساء وان كانت أنثى تركت فى الغنم وان

بارسال ريح من عنده (ولكن) كانوا (أنفسهم يظلمون) بارسال ريح الظلم الكفري على حرثهم الاخروى ثم أشار الى أن الكفر لما كان ريحا مهلكة حرث أعمال أربابه فلا يبعد منه اهلاك حرث أعمال من صحبهم سيما من أحبهم فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ترك صحبتهم فان لم تتركوها فعليكم ان (لا تتخذوا بطانة) اى محبة باطنة معرفة للاسرار (من دونكم) أى مجاوزة بطانة المؤمنين وكيف لا يؤثر ريح كفرهم فى حرثكم وهم (لا يألونكم خبالا) اى لا يقصرون فى افساد عقائدكم لاحباط أعمالكم ولا يبعد منهم لانهم (ودوا ما عنتم) أى تمنوا ما يهلككم فضلا عن أعمالكم ويدل على هذا التمنى انه (قد بدت البغضاء) أى ظهر البغض الباطن حتى خرج (من أفواههم) اذ لا يتمالكون أنفسهم من افراط بغضهم وان قصدوا مراعاتكم (و) هذا يدل على أن (ما تخفى صدورهم أكبر) مما ظهر (قد بينا لكم الآيات) الدالة على سوء اتخاذكم اياهم بطانة فتمتنعوا منها (ان كنتم تعقلون ها أنتم أولاء) أى تنبهوا أيها الحمقى المشار اليهم بالاشارة القريبة (تحبونهم ولا يحبونكم) فعدم محبتهم كاف فى امتناع اتخاذهم بطانة لو لم يظهر بغضهم (و) ليس فيكم ما يوجب بغضهم لكم لانكم (تؤمنون بالكتاب كله) فلا تنكرون من كتابهم شيأ (واذا لقوكم) بعد ظهور البغضاء من أفواههم خافوا أن تقطعوا مودتكم فلا يصل اليهم أسراركم لذلك (قالوا آمنا) بكتابكم ونبيكم سرا ولا تظهره خوفا من قومنا (و) لكنه ايمان نفاق معكم لانهم (اذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ) أن لا يجدوا الى التشفى منكم سبيلا (قل) زادكم الله غيظا لزيادة ظهورنا (موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور) فكيف لا يعلم عضكم الانامل فان لم تطلعوا منهم على هذا الغيظ لكونه فى خلوتهم فلا بد أن تطلعوا منهم على أنهم (ان تمسسكم حسنة) بظهوركم على العدو ونيلكم الغنيمة وخصب معاشكم وتتابع الناس فى دينكم (تسؤهم وان تصبكم سيئة) باصابة العدو منكم أو اختلاف بينكم أو جدب أو بلية (يفرحوا بها) واذا امتنعتم من موالاتهم فغاية ما يكون منهم انهم يؤذونكم (وان تصبروا) على ايذائهم (وتتقوا) الله فى موالاتهم (لا يضركم كيدهم شيأ ان الله بما يعملون) من الكيد (محيط) لا يمكنه ان يصل اليكم (و) اذكر لهم فى دفع الله كيد أعدائهم عنهم يوم أحد (اذ غدوت) أى خرجت بالغدوة (من أهلك) أى حجرة عائشة فتركت الاستراحة فى وقتها لاهتمامك لقتال العدو بأحد (تبوئ) أى تنزل (المؤمنين) وكانوا زهاء ألف (مقاعد) أى أماكن (للقتال) فلما بلغوا الشوط اعتزل ابن أبى فى ثلثمائة وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا لو نعلم قتالا لاتبعناكم فكان هذا كيدا منه (والله سميع) لقوله (عليم) بكيده الذى كاد به لبعض المؤمنين (اذ همت) أى قصدت (طائفتان) بنو سلمة وبنو حارثة (منكم ان تفشلا) أى تجبنا فتتخلفا مع ابن أبى (و) لكن عصمهم الله اذ (الله وليهما) مولاهما فتوكلنا عليه (وعلى الله) لا على قوة النفس أو المدد (فليتوكل المؤمنون) فلا تخافوا قوة الاعداء وعدتهم وكثرة عددهم وكيف لا تتوكلون على الله (ولقد نصركم الله) لتوكلكم عليه

كان ذكر أو أنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبح لكانها وكان لحومها حراما على النساء ولبن الانثى حرام على النساء الا أن يموت منها شئ فيأكله الرجال والنساء والحامى الفحل اذا ركب ولده ويقال اذا أنتج من صلبه عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يمنع من كلأ (قوله تعالى بغتة) اى فجأة (قوله عز

(بدر) موضع بين مكة والمدينة أو بئر منه (وأنتم أذلة) لا قوة لكم ولا عدة ولا كثرة اذ كنتم ثلثمائة وثلاثة عشر مع فرسين وثمانية سيوف وستة أدرع (فاتقوا الله) ان توالوا أعداءه عن ذلة أو قلة (لعلكم تشكرون) تقويته واعزازه لكم ونصره لكم ودفعه أعداءكم كما فعل ببدر (اذ تقول للمؤمنين) تقوية لقلوبهم بوعد النصر (ألن يمدكم أن يمدكم ربكم) لتقويتكم ونصركم ودفع أعدائكم (بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) من سمائه لقتال أعدائه وجعل عدد المدد ثلثة أضعاف عدد الكفار كما انهم ثلاثة أضعاف عدد المسلمين (بلى) يكفيكم ولكنه يزيدكم (ان تصبروا) على قتالهم (وتتقوا) الفرار عنهم (ويأتوكم من فورهم) اى ساعتهم (هذا) فلا تنزعجوا بغتة لمجيئهم (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) اى معلمين بأنهم ملائكة لا بشر لتزدادوا قوة وأعداؤكم خوفا وجعل الزيادة ضعف عدد الكفار مع انهم لو كانوا اضعف عدد المسلمين لوجب على المسلمين قتالهم فكيف اذا انعكس الامر ولا ينافى هذا ما مر من رؤيتهم المسلمين ضعفهم لانه تميز عنهم الملائكة (وما جعله الله) اى هذا الامداد (الا بشرى) تقوية (لكم و) ما جعله الا (لتطمئن) اى لتسكن (قلوبكم به) فلا تجزع من رؤية كثرة عدوهم وعددهم وقوتهم (و) لم يكن اليه حاجة لانه (ما النصر) ولو مع الامداد (الا من عند الله) وحده (العزيز) اى الغالب على الاسباب بحيث يمكنه التأثير على خلافها (الحكيم) فى استعمالها وقد اقتضت حكمته أن ينصركم مع قلتكم وذلتكم (ليقطع طرفا من) جملة (الذين كفروا) لاقتضاء كفرهم تضعيفهم بعد قوتهم (أو يكبتهم) اى يخزيهم (فينقلبوا خائبين) منقطعى الآمال لكن (ليس لك من الامر) اى أمرهم من القطع أو الاكبات (شئ) جزما بل هو فى مشيئة الله فله أن يفعل أحدهما (أو يتوب عليهم) فيوفقهم للايمان (أو يعذبهم) لاصرارهم بعد رؤية هذه الآية ولا يبعد (فانهم ظالمون) لاستمرارهم على العناد ثم أشار الى أن ظلمهم وان كان سبب العقاب فلله أن يزيله أو يديمه كيف (ولله ما فى السموات وما فى الارض) وهو من جملة ما فيهما فهو (يغفر لمن يشاء) بازالة الظلم (ويعذب من يشاء) بادامته (و) لا يبعد أن يغفر للظالم اذا تاب اذ (الله غفور رحيم) ومع غفرانه ورحمته له شدة فى حق الظالم بالكفر أو بمعاداة الكفار أو بتضييع سائر الحقوق حتى حق الجمادات (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ترك الظلم ولو على الجمادات (لا تأكلوا الربوا) فتظلموا الاموال بجعلها مقابلة لما لا وجود له فان رجوتم الرحمة والغفران فى اليسير فلا تأكلوه (أضعافا مضاعفة) اى زيادات مكررة (واتقوا الله) ان لم تخافوا سطوتها (لعلكم تفلحون) بايفاء حقوقكم وصونكم عن أعدائكم كما صنتم حقوق الاشياء (واتقوا) فى أكلها أضعافا مضاعفة الافضاء الى الكفر الذى يوجب لكم (النار التى أعدت للكافرين و) لو لم يكن للاموال حقوق (أطيعوا الله والرسول) فى ترك الربا (لعلكم ترحمون) بالتفضل عليكم فوق حقوقكم فضلا عن الصيانة التى هى من

وجل بازنعا) اى طالعا
(قوله تعالى بينكم) اى
وصلكم والبين من الاضداد
يكون الوصال ويكون
الفراق (قوله عز وجل
بصائر من ربكم) مجازها
حجج بينة واحدتها بصيرة
(قوله عز وجل بوأكم)
أنزلكم (قوله عز وجل
بأس) أى شدة ويقال بؤس
أيضا اى فقر وسوء حال
(بنيان) شديد (بنيان)
أصابع واحدها بنانة (قوله

حقوقكم ثم أشار الى أن النار المعدة للكافرين كما يخاف على آكل الربا أضعافا مضاعفة يخاف على كل مصر على المعاصى فقال (وسارعوا الى) أسباب (مغفرة) فانها وان كانت (من ربكم) من غير تأثير للاسباب فيها فسنة جارية بالفعل عندها وهى الاستغفار والندم والعزم على أن لا يعود (و) لا يتم الا بالمسارعة الى أسباب (جنة) هى الاعمال الصالحة لانها تمحو المعاصى اذ يدخل صاحبها فى سعة الرحمة لذلك (عرضها السموات والارض) لو وضع بعضها بجنب بعض فهى من أسباب الصيانة عن الاعداء والبليات بل أسباب المغفرة أيضا أسباب الجنة لان المغفور له لاحق بالمتقين والجنة (أعدت للمتقين) لان المسارع الى أسباب المغفرة ينظر الى الله كنظر المتقين (الذين ينفقون) أموالهم اتقاء محبتها (فى السراء والضراء) أى فيما يجلب مسرة للمؤمن أو يدفع مضرة عنه اتقاء تضييعها تذييلا للشهوية (والكاظمين) اى الكافين (الغيظ) عن امضائه مع القدرة عليه اتقاء التعدى فيه الى ما وراء حقه (والعافين عن الناس) ما يغيظ لئلا يهيج تهذيبا للغضبية فانهم أعدت لهم الجنة لانهم محسنون آثروا اجتناب الحق على شهوتهم وغضبهم (والله يحب المحسنين) لانهم لا ينظرون الى ما سواه فضلا عن محبته ويقرب منهم فى النظر الى الله المسارعون الى المغفرة (و) هم (الذين اذا فعلوا فاحشة) اى فعلة بليغة فى القبح متعدية (أو ظلموا أنفسهم) بغير التعدى (ذكروا الله) فاشبهوا المحسنين من وجه لكن رأوا معاصيهم حجبا (فاستغفروا لذنوبهم و) انما استغفروا لعلمهم انه (من يغفر الذنوب) فيرفع حجابها (الا الله و) خافوا استحكام الحجاب بالاصرار لذلك (لم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) انه ذنب بخلاف ما لو لم يعلموا لانهم عوام أو لكونه فى محل الاجتهاد فانه لا يخاف حجابيته عليهم اذا لم يقصروا (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم) اى ستر لذنوبهم ليصيروا محسنين (و) اذا صاروا محسنين فجزاؤهم (جنات) جزاء على مشاهدتهم اياه (تجرى من تحتها الانهار) جزاء على اجرائهم أنهار المعارف فى قلوبهم بمسارعتهم فى رفع الحجب عنها (خالدين فيها) لبقاء احسانهم دائما فهذا أجر المسارعين الى المغفرة وفوقه أجر المسارعين الى الجنة وهم العاملون (و) لذلك قال (نعم أجر العاملين) لذلك اتسع جنتهم الى أن صار عرضها السموات والارض ثم أشار الى أنكم لو أصررتم على المعاصى ولم تبادروا الى الاستغفار فلا يقتصر فى حقكم على ابقاء الحجاب بينكم وبين ربكم الموجب للعذاب الاخروى بل (قد خلت) اى مضت (من قبلكم سنن) من أنواع المؤاخذات والبلايا سيما فى حق المكذبين الذين يتخذون منهم بطانة ليتجوا عن أذياتهم فلا تنجون عن شدائد الله التى عليهم للعوقكم بهم (فسيروا فى الارض) التى فيها ديارهم الخربة وآثارا هلاكهم (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) وقيسوا عليها عاقبة اللاحقين بهم (هذا) من مؤاخذة المذكور (بيان للناس) الذين نسوا مؤاخذتهم فاتخذوهم بطانة للتحفظ عنهم ونسوا ما على اللاحقين بهم من مؤاخذة الله (وهدى) الى التحفظ عنهم بالتوكل على الله (وموعظة) أى تخويف نافع (للمتقين) الذين منهم التحفظ الكلى الذى لا يتم الا بالتحفظ عن

عز وجل بياتا) اى ليلا والبيات لا يقطع بالليل (قوله عز وجل براءة) اى خروج من الشئ ومفارقة له (قوله عز وجل بوأنا بنى اسرائيل) أنزلناهم ويقال أخلصنا لهم موأ وهو المنزل الملزوم (قوله عز وجل بادئ الرأى) مهموز اى أول الرأى وبادى الرأى غير مهموز اى ظاهر الرأى (قوله عز وجل بعلى) بعل المرأة

الله بل بطانتهم عين الخوف ولا خوف منهم فى الواقع وانما هو من وهنكم (ولا تهنوا) اى ولا تضعفوا فى أنفسكم لتفتقروا الى اتخاذهم بطانة ومنشأ هذا الضعف الحزن من أذياتهم (ولا تحزنوا) اذ لا تصل أذياتهم الى اتلافكم بل هم التالفون (وأنتم الاعلون) اى الاغلبون لكن انما تغلبون (ان كنتم مؤمنين) مخلصين لانه انما وعد النصر للمؤمنين ولا تضعفوا عن الجهاد بمس القرح فانه (ان يمسسكم قرح) يوم أحد (فقد مس القوم) العدو يوم بدر (قرح مثله) ولم يضعفوا ولم يجبنوا فأنتم أولى لانكم موعودون بالنصر دونهم (و) المس مرة لا يدل عليه فى كل مرة اذ (تلك الايام) اى أيام النصر (نداولها) اى نصرفها فنجعلها دولة لطائفة مرة ولاخرى أخرى فنقسمها (بين الناس) لئلا يجبنوا (وليعلم الله الذين آمنوا) اى وليتميز الثابتون على الايمان فى علم الله عما سواهم اذ لو دام النصر للمؤمنين لكان ملجئا للناس الى اعتقاد حقيتهم (ويتخذ منكم شهداء) ولو دام النصر للمؤمنين لقل الشهداء منهم لكن الله تعالى يريد تكثيرهم لانه يحبهم لكونهم مظلومين (والله لا يحب الظالمين) فيجعل محبته لهم لم يظلموا للمظلومين مع محبته لهم لايمانهم (وليمحص) اى يطهر (الله الذين آمنوا) بالشهادة عن معاصيهم (ويمحق الكافرين) بالقتال اذ لو دام النصر للمؤمنين لدام صلحهم معهم فكانوا باقين أضعفتم عن أعمال الجنة (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله) اى ولم يتميز ما علم الله من (الذين جاهدوا منكم) ممن علم ضعفهم عن الجهاد (ويعلم الصابرين) على الشدائد حفظا للايمان ممن يجزع فينقلب (و) كيف ضعفتم الآن و (لقد كنتم تمنون الموت) على الشهادة (من قبل أن تلقوه) أى أسبابه (فقد رأيتموه) اى معتمنا كم (وأنتم تنظرون) شدائده وتضعفون ثم أشار الى أن قتل محمد صلى الله عليه وسلم وموته ليس من أسباب الضعف بل هو كالقرح فقال (وما محمد الا رسول) والرسل منهم من مات ومنهم من قتل فلا منافاة بين الرسالة والقتل والموت اذ (قد خلت من قبله الرسل) بل الضعف عن الجهاد حينئذ مشعر بالردة (أ) تؤمنون به فى حال حياته (فان مات أو قتل انقلبتم) اى ارتددتم كأنكم انقلبتم (على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا) بابطال دينه فانه سيظهره على يدى من يشكره (وسيجزى الله) بالنصر والغلبة فى الدنيا والثواب والرضوان فى الآخرة (الشاكرين) نعمة الاسلام بالجهاد فيه روى انه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه ذهب مصعب بن عمير وكان صاحب رايته فقتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل محمدا صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا صلى الله عليه وسلم وصرخ ابليس الا ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال المنافقون لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم وقال بعضهم ليت ابن أبى يأخذ لنا أمانا من أبى سفيان فقال أنس بن النضر ان كان محمد قد قتل فان رب محمد حى لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم انى أعتذر اليك مما يقول وأبرأ منهم وسل سيفه وقاتل حتى قتل فكان من الشاكرين ثم أشار الى أن قتل محمد صلى الله عليه وسلم أو موته

زوجها وبعل اسم صنم أيضا قال الله عز وجل أتدعون بعلا (قوله تعالى بقية الله خير لكم) اى ما أبقاه الله لكم من الحلال ولم يحرمه عليكم فيه مقنع ورضاء فذلكم خير لكم (قوله عز وجل بعدت ثمود) اى هلكت يقال بعد يبعد اذا هلك وبعد يبعد من البعد (قوله تعالى بخس) نقصان يقال بخسه حقه

كما لا يكون سببا للردة لا يكون سببا للهزيمة فقال (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله) وما يأذن الا عند انتهاء الاجل لانه كتب عمر الانسان (كتابا مؤجلا) اى منتهيا الى أجل ولا يغير ما كتب اوت رسول أو قتله (و) ليس مسقط الثواب دنيوى ولا أخروى بل (من يرد ثواب الدنيا) وهو النصر والغنيمة (نؤته منها) اذ وعدناهما المؤمنين (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) وكيف لا ترقد شكر نعمة الاسلام (وسنجزى الشاكرين) ثم ان قتل نبي لو كان موجبا لوهن لحصل للعلماء بالله العاملين من القدماء (و) لكن (كأين من نبي) أى كثير من الانبياء قتلوا حين (قاتل معه ربيون) اى المنسوبون الى الرب من العلماء العاملين (كثير) لا يخلو عمن يطلع على موجب الوهن لو خفى على القليل كيف ولم يحصل لهم تردد (فما وهنوا) اى ضعفوا (لما أصابهم فى سبيل الله) من القرح الظاهر مع الباطن بموت الرسول (وما ضعفوا) ولو ضعفوا لاستكانوا (و) لكنهم (ما استكانوا) للاعداء بل صبروا على قتالهم (والله يحب الصابرين) على قتال أعدائه سيما اذا قتل نبيهم لانه أشد (وما كان قولهم) مثل قول المنافقين والضعفاء ولا المجبين بقولهم بل ما كان (الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) فأضافوا الذنوب الى أنفسهم طلبوا الاستغفار لها لما علموا أنها سبب الهزيمة والمصائب (و) لم يقتصروا على نسبة الصغائر الى أنفسهم بل قالوا (اسرافنا فى أمرنا) ومع قوتهم على الصبر لم ينسبوه الى أنفسهم (و) لم يعتمدوا عليها بل قالوا (ثبت أقدامنا) فى قتال أعدائك (و) قالوا (انصرنا على القوم الكافرين) لئلا يذهبوا بنصر قتل الانبياء (فآتاهم الله ثواب الدنيا) من الثناء الحسن والنصر والغنيمة لو رجعوا احياء (وحسن ثواب الآخرة) أتم مما يثيب به القاعدين لانهم محسنون بالنظر الى الله (والله يحب المحسنين) ومحبته سبب كل فضيلة وحسن ثم أشار الى أن علماء العصر من أهل الكتاب ليسوا كقدمائهم حتى يؤخذ بقولهم بل (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) فتسمعوا قولهم (يردوكم) الى الشرك (على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين) لدين الاسلام ودين أهل الكتاب حين كان حقا ومحبة الله ورضوانه وثوابه الدنيوى والاخروى فلا تعتقدوا أنهم يوالونكم كما توالونهم (بل الله مولاكم) فاستمعوا له كيف (وهو) اذا استمعتم له (خير الناصرين) ينصركم خيرا من نصرهم لو نصروكم وكيف لا يكون خير الناصرين وهو ينصركم بغير قتال (سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) بعد غلبتهم وذلك أن أبا سفيان لما رجع ندم ببعض الطريق فعزم أن يعود على المسلمين ليستأصلهم فألقى الله الرعب فى قلبه لغضبه عليهم (بما أشركوا بالله ما لم ينزل به) أى بكونه الها أو متصفا بصفاته أو مستحقا للعبادة (سلطانا) أى حجة قاطعة ينبنى عليها الاعتقادات (و) لا يكتفى فى حقهم بهذا الحد بل (مأواهم النار) لظلمهم بالشرك (وبئس مثوى الظالمين) النار ثم أجاب عن هزيمة أحد مع وعده بخير النصر وذلك انه عليه السلام أقام الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير على جبل عينين وجعله على يساره واحدا خافه

واستقبل

اذا نقصه (قوله بئى وحزنى) البث أشد الحزن الذى لا يصبر عليه صاحبه حتى يبثه اى يشكوه والحزن أشد الهم (قوله تعالى بصيرة) اى يقين كقوله أدعو الى الله على بصيرة اى على يقين (وقوله بل الانسان على نفسه بصيرة) اى من الانسان على نفسه عين بصيرة اى جوارحه يشهدن عليه بعمله ويقال الانسان

واستقبل المدينة وقال لهم احموا ظهورنا فان رأيتمونا غنمنا فلا تشاركونا وان رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا فأقبل المشركون فرشق الرماة خيولهم بالنبل وضربوهم بالسيف حتى قتلوا منهم اثنين وعشرين فولوا هاربين فقال بعض الرماة انهزم القوم فما مقامنا فأقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم لا تجاوزوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت عبد الله بن جبير في نفر أقل من عشرة فحمل عليهم خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل فقتلوهم وأقبلوا على المسلمين فاختلطوا على غير شعار فجعل بعضهم يقتل بعضا فقتل سبعون من المسلمين وأرجف بأن محمدا قد قتل فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائهم الى عباد الله فأنا رسول الله من يكر فله الجنة فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين فلما رجعوا قال ناس من أصحابه من أين أصابنا هذا وقد وعدنا النصر فنزل (ولقد صدقكم الله وعده) أن ينصركم (اذ تحسونهم) أي تبطلون حسهم بقتلهم (باذنه) حين رشقهم الرماة وضربوهم (حتى اذا فشلتم) أي ضعفتم عقلا اذ ملتم الى الغنيمة (وتنازعتم في الامر) في الاقامة بالمركز (وعصيتم) أمر الرسول عليه السلام أن لا تشركونا في الغنيمة (من بعد ما أراكم ما تحبون) من النصر انقسمتم قسمين (منكم من يريد الدنيا) أي الغنيمة فترك المركز (ومنكم من يريد الآخرة) فثبت فيه (ثم صرفكم) أي كفكم (عنهم) بالهزيمة (ليبتليكم) ببلاء الهزيمة (ولقد عفا عنكم) اذ لم يستأصلكم بعد مخالفة الرسول عليه السلام (والله ذو فضل على المؤمنين) لذلك تفضل بالعفو (اذ تصعدون) أي تبعدون في الفرار (ولا تلوون) أي لا تلتفتون بالوقوف (على أحد والرسول يدعوكم) الى عباد الله (في أخراكم) أي ساقتكم (فأثابكم) أي جازاكم الله على فشلكم وعصيانكم (غما) متصلا (بغم) من القتل والجرح وظفر المشركين وارجاف قتل الرسول عليه السلام وانما فعل ذلك لتتمرنوا على الصبر (لكيلا تحزنوا) فيما بعد (على ما فاتكم) من المنافع (ولا ما أصابكم) من المضار (والله خبير بما تعملون ثم) كان عاقبة الامر أيضا النصر اذ (أنزل) الله (عليكم من بعد) ازالة (الغم) الكثير بتحقق سلامة الرسول عليه السلام (أمنة) مع بقاء الحرب (نعاسا) أي نوما (يغشى) أي يغلب (طائفة منكم) هم المخلصون كانت تسقط سيوفهم من أيديهم فيأخذونها مرة بعد أخرى (وطائفة) هم المنافقون (قد أهمتهم) أي أوقعتهم في الهموم (أنفسهم) اذ (يظنون بالله غير الحق) أي خلاف الوعد (ظن) الملة (الجاهلية يقولون) لرسول الله صلى الله عليه وسلم (هل لنا من الامر) أي من أمر النصر الذي وعدته (من شئ قل ان الامر) أي أمر النصر (كله لله) أي لحزب الله اذ لا عبرة بالوسط بل لا ينافيه الهزيمة في الاول أيضا والنصر لا يوجب سلامة الكل وهم يعلمون ذلك لكنهم لا يعتقدون نصركم في الآخر وان رأوا نعاسكم لذلك (يخفون في أنفسهم) عند قولك ان الامر كله لله (ما لا يبدون لك) وهو انهم (يقولون) في أنفسهم (لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا) فكأنهم يزعمون

الانسان بصير على نفسه والهاء دخلت للمبالغة كما دخلت في علامة ونسابة ونحو ذلك (قوله تعالى بوار) أي هلاك (قوله عز وجل باخع نفسك) أي قاتل نفسك (قوله تعالى بهتانا هم) أي أحيناهم (قوله تعالى الباقيات الصالحات) الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (قوله تعالى بارزة) أي ظاهرة

أنهم لو أتبعهم المقتولون فلم يخرجوا من ديارهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتلوا (قل لو كنتم في بيوتكم) وتبعكم المقتولون فلم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يثبتوا في ديارهم بل (لبرز) أي خرج (الذين كتب عليهم القتل) في مكان كذا ووقت كذا فانه يوقع في قلوبهم الخروج (الى مضاجعهم) أي مكان قتلهم في زمانه اذ لا يقع خلاف المقدر المحتوم والحكمة تقتضي هذا التقدير ليصير واشهدا فيتطهروا (وليبتلي) أي يمتحن (الله) أي يفعل فعل الممتحن ليستخرج (ما في صدوركم) من الاخلاص والنفاق ليجعله حجة عليكم (وليمحص) أي وليظهر للخلق (ما في قلوبكم) التي تنقلب من الايمان الى النفاق (و) لا يعتد على الله اذ (الله عليم بذات الصدور) أي الضمائر الملازمة لها ثم أشار الى أن الانهزام الذي كان في الوسط لم يكن من الله تعالى ابتداء على خلاف ما وعد من النصر بل من الشيطان فقال (ان الذين تولوا) أي انهزموا (منكم) مع علمهم بأن الانهزام (يوم التقى الجمعان) أي جمع المسلمين وجمع المشركين من البكائر (انما استزلهم الشيطان) أي حملهم على الزلة بمكر منه مع وعد الله النصر (ببعض ما كسبوا) أي بشؤم بعض اكتسابهم كترك المركز والميل الى الغنيمة مع النهي عنه فمنعوا التأييد وقوة القلب (ولقد عفا الله عنهم) لندمهم واخلاص توبتهم في الآخرة كما عفا عنهم في الدنيا اذ لم يستأصلهم (ان الله غفور حليم) لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب فيغفر له ثم أشار الى أن استزلال شياطين الانس كاستزلال شياطين الجن فقال (يا أيها الذين آمنوا) الايمان بنافي الشيطنة لذلك (لا تكونوا كالذين كفروا) فلحقوا بالشياطين (وقالوا لاخوانهم) استزلالا لهم عن أمر المعاش والمعاد (اذا ضربوا) أي سافروا (في الارض) للتجارة فأصيبوا بغرق أو قتل (أو كانوا غزا) فأصيبوا باصطدام أو قتل (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا) ولا يفيدهم فانما يقولونه (ليجعل الله ذلك) القول (حسرة في قلوبهم) أي القائلين والسفر والغزو ليسا من أسباب الموت بل يوجد بعض أسبابه هناك كما يوجد البعض الآخر في دار الاقامة والكل عند الله على أنه لا أثر للاسباب (و) انما (الله) هو الذي (يحيي ويميت) بالحقيقة (والله بما تعملون) أيها المؤمنون في زعمهم من مشابهتهم في هذا القول (بصير) اذ تنسبون الفعل الى الاسباب حقيقة ثم أشار الى أن الموت في سبيل الله ليس مما يوجب الحسرة بل مما يوجب الفرح (و) ذلك لانكم (لئن قتلتم في سبيل الله أو متم) من غير قتال بعد الخروج له (لمغفرة من الله) لذنوبكم التي لولم تغفر عظمت عليكم حسرة (ورحمة) لو فاتتكم عظمت حسرة أيضا (خير مما يجمعون) اذ لا تندفع تلك الحسرة بأموال الدنيا كلها بل ترك الجهاد هو الموجب للحسرة (و) ذلك لانكم (لئن متم أو قتلتم) لا في سبيله (لالى الله تحشرون) فتزدون من غضبه عليكم مع رضاه عن قتل أو مات في سبيله مما يوجب عليكم أعظم وجوه الحسرة وقدم القتل أولا لانه أعظم للاجر وأخره ثانيا لانه أمر عارض والموت حتف الانف لابد منه وكيف ينكر الحشر الى الله لمن مات أو قتل وقد حشر من جاهد في سبيله من غير موت ولا قتل وكيف لا يغفر للميت

أي ترى الارض ظاهرة ليس فيها مستظل ولا متقيا ويقال الارض الظاهرة البراز (قوله عز وجل بغيا) يعني فاجرة (قوله تعالى بال) حال (قوله عز وجل بهيج) أي حسن يبهج من يراه أي يسره والبهجة الحسن والبهجة السرور أيضا (قوله عز وجل باد) أي من أهل البدو كقوله عز وجل سواء العاكف فيه والباد

والمقتول فى سبيله وقد غفر للمجاهد ورحم بدونهما (فبما رحمة من الله) أى فبشئ حصل بالحشر الى الله من التخلق بأخلاقه لا بطريق الاتصاف بصفات الالهية حقيقة بل برحمة عظيمة من الله مقيدة للاتصاف بما يناسب صفاته التى من جملتها الغفران والحلم (لنت لهم) أى للذين تولوا عنك وأنت تدعوهم وللقاتلين لاخوانهم اذا ضربوا فى الارض أو كانوا غزا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ومن هذه الرحمة جمعتهم (ولو كنت فظا) أى سيئ الخلق (غليظ القلب) قاسيه (لانفضوا) أى تفرقوا فلم يجتمعوا (من حولك) فلا تتم دعوتك وكمال اللين فى العفو (فاعف عنهم) كما عفا الله عنهم (واستغفر لهم) لئلا ينقص بها رتبتهم فى الآخرة (وشاورهم فى الامر) لتتوقد اليهم ويثبتوا على رأيهم ولا يعترضوا عليك ولا تبالغ فى المشورة بل اعزم على أمر (فاذا عزمت) فبدا لك اعتراض (فتوكل على الله) فى امضاء ما عزمت (ان الله يحب المتوكلين) فيصلح شأنهم ويهديهم الى الصواب وكيف يلتفت الى الاعتراض بعد التوكل على الله مع انه (ان ينصركم الله) وهو ناصر للمتوكل عليه اذا صدق فى توكله (فلا غالب) عليكم بل تكون الغلبة لكم (وان يخذلكم) ولا يعد خذلانه لمن توكل على رأيه وقوته (فمن ذا الذى ينصركم) أى يعصمكم من قوتكم ورأيكم (من بعده) أى بعد خذلانه (وعلى الله) لا على الآراء والقوى (فليتوكل المؤمنون) الذين يعلمون انه لا تأثير لشئ دونه ولما كان النصر بالايمان والتوكل على الله وبعد من الخائن فلا يتصور ممن نباه الله من الحقائق فقال (وما كان لنبى أن يغل) أى يخون فى غنيمة كما قال المنافقون فى قطيفة حمراء فقدت يوم بدر اما رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها وكما ظن الرماة يوم أحد فقالوا نخشى أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ شيأ فهو له (و) كيف يكون ذلك فى شأن من رفع الله قدره وهو موجب للاذلال لان (من يغلل يأت بما غل) حاملا له على ظهره ليفتضح فى المحشر (يوم القيامة ثم) لا يقتصر على ذلك الاذلال بل يجازى على غله جزاء كاملا اذ (توفى كل نفس) جزاء (ما كسبت) فلا ينقص من حق من غل لانه حق الخلق (وهم لا يظلمون) بابطال حقوقهم بالعفو عمن غل عليهم ولو قيل انه عز وجل يرضى خصوم أوليائه بتعويض من عنده يقال أولياؤه هم الذين اتبعوا رضوانه (أ) يغل وليه (فمن اتبع رضوان الله) لا يكون (كمن باء) أى كالغال الذى رجع (بسخط من الله و) السخط على أهل الغلول أشد اذ (مأواهم جهنم) وانما يعوض لاوليائه لان لهم الى ربهم المصير ونعم المصير وهؤلاء مصيرهم جهنم (وبئس المصير) وانما كان السخط على قوم أشد منه على غيرهم اذ (هم درجات) أى متفاوتون (عند الله) والغال أدنى درجة والنبى أعلى درجة فكيف يجعل الله فى أعلى الدرجات من عمل عمل أدناها (والله بصير بما يعملون) ثم أشار الى أنه كيف يكون الرسول غالا وقد من الله ببعثه فكيف بمن يبعث الخائن فقال (لقد من الله على المؤمنين) وان كان سبب تعذيب الكافرين (اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) أى منتسبا الى جميع أحيائهم قيل الا بنى تغلب ليكون رحيما عليهم وهو بنا فى الغلول (يتلوا عليهم آياته)

(قوله البيت العتيق) بيت الله الحرام وسمى عتيقا لانه لم يملك ويقال سمى عتيقا لانه أقدم ما فى الارض ويقال ان الله عز وجل أعتق زواره من النار اذا توافاهم على توحيده وما عليه نبيه صلى الله عليه وسلم (قوله تعالى برزخ الى يوم يبعثون) يعنى القبر لانه بين الدنيا والآخرة وكل شئ بين شيئين فهو برزخ ومنه وجعل بينهما برزخا أى

ولا يظهر الا على يدى الكامل فلا يتسلو ما لم يؤمر بالتكميل ولا يتصور كون الكامل المكمل غالا (ويزكيهم) وتزكية الغير بعد تزكية النفس ومما يزكى عنه الغلول (ويعلمهم الكتاب والحكمة) أى العلم الظاهر والباطن وهو من دلائل كمال النفس المنافى للغلول وكيف لا يكون بعثه منة وقد هداهم الله به فى القوة النظرية والعملية (وان كانوا من قبل) أى وانهم كانوا قبل بعثه (لفى ضلال مبين) ظاهر (أ) تنكرون منة الله فى بعثه اذ تزعمون أنكم قتلتم بسببه (و) ذلك أنكم (لما أصابتكم مصيبة) بأحد فقتل منكم سبعون (قد أصبتم مثليها) ببدر اذ قتلتم من المشركين سبعين وأسرتم سبعين (قلتم أنى) أى من أين لنا (هذا) الواقع ونحن مسلمون ورسول الله فينا (قل هو من عند أنفسكم) اذ أخذتم فداء سبعين من أسراء بدر برأيكم فتركتم قتلهم الذى هو الصواب فقتل منكم سبعون (ان الله على كل شئ قدير) فكما قدر على مجازاة الكفار يوم بدر قدر على مجازاتكم يوم أحد ثم قال (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله) ليجازيكم على فراركم يوم الزحف فى الدنيا ليسقط عنكم عذاب الآخرة (وليعلم المؤمنين) أى وليميزهم بين الناس على وفق علمه بهم (وليعلم الذين نافقوا) ان تميزوا اذ (قيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله) مباشرة (أو ادفعوا) العدو بتكثير سوادكم (قالوا لو نعلم) أنه يصح أن يسمى (قتالا لاتبعناكم) لكنه ليس الا القاء النفس فى التهلكة (هم) بهذا القول (للكفر) فى الظاهر (يومئذ) قبل هذه المصيبة (أقرب منهم للايمان) فى الظاهر مع أنه لا ايمان لهم فى الباطن أصلا اذ (يقولون بأفواههم) من كلمتى الشهادة (ما ليس فى قلوبهم و) لم تظهر امارات الكفر عليهم فى الظاهر فلا يعتد بايمانهم فى الظاهر اذ (الله أعلم بما يكتمون) وهو انما يتبع علمه وقد ظهرت أمارة من امارات الكفر عليهم لانهم (الذين قالوا لاخوانهم) أى من أجل أقاربهم من قتلى أحد (و) قد صدق هذه الامارة فعلهم اذ (قعدوا لو أطاعونا) فى القعود (ما قتلوا) كما لم نقتل (قل) كما تكم تزعمون أنهم لو أطاعوكم دفعتم عنهم الموت (فادرءوا) أى ادفعوا (عن أنفسكم الموت) فانها أقرب اليكم من أنفسهم (ان كنتم صادقين) فى أنكم تقدرون على دفع أسبابه ثم أشار الى أن قتلكم بأحد لم يكن من أخذكم الفداء من أسراء بدر ولا من ميلكم الى الغنيمة على خلاف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من فراركم بل من سبب الرسول فلا يناف المنة ببعثه صلى الله عليه وسلم اذ به صار الشهداء فى حكم الاحياء فقال (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا) تعطلت أرواحهم (بل أحياء) فوق أحياء الدنيا لانهم مقربون (عند ربهم) اذ بذلوا له أرواحهم لا بمعنى بقاء أرواحهم ورجوعها اليه لمشاركة أرواح غيرهم فى ذلك بل بمعنى أنهم (يرزقون) رزق الاحياء لا بطريق التخيل الذى لسائر أهل البرزخ بل بطريق التحقيق كما روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أرواح الشهداء فى أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل معلقة تحت العرش وهو أجل من رزق أحياء الدنيا اذ لا يخلون عن غم وتعب وهم يرزقون (فرحين بما آتاهم الله) من غير تعب وكسب بل

حاجزا (قوله عز وجل بغى عليهم) أى ترفع عليهم وعلا وجاوز المقدار (قوله بيض مكنون) تشبيه الجارية بالبيض بياضا وملاسة وصفاء لون وهى أحسن منه وانما تشبه الالوان ومكنون مصون (قوله البطشة الكبرى) يوم بدر ويقال يوم القيامة والبطش أخذ بشدة (قوله البيت المعمور) بيت فى السماء الرابعة حيال

(من فضله) الذى لا يغتم فيه بسببه (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم) أى ويطلبون البشارة من الله بشهادة من بقى من اخوانهم فى الدنيا (من خلفهم) فنقصت عليهم لذاتهم اذ لا يخلون عن خوف الآخرة وقد علموا فى حق الشهداء (ألا خوف عليهم) من عقوبة الآخرة بعد الشهادة (ولا هم يحزنون) بما فاتهم من لذات الدنيا بل (يستبشرون بنعمة) عظيمة (من الله) أى من ثوابه (وفضل) من قربه وكيف لا يكون لهم ذلك (وأن الله لا يضيع أجر) عوام (المؤمنين) فكيف يضيع أجر الشهداء وقد اختاروا جناب الله على أنفسهم ثم أشار الى من بالغ فى ترجيح جنابه لقوة ايمانه فقال (الذين استجابوا) دعوة الله ورسوله الى الخروج فى طلب أبى سفيان وقومه مرجعين (لله والرسول) على أنفسهم لانهم أجابوهما (من بعد ما أصابهم القرح) اذ قصد العود اليهم لاستئصالهم حين بلغ الروحاء فقال لقومه لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب أصحابه للخروج فى طلبه اراهبا به فخرج معه سبعون رجلا حتى بلغوا حمراء الاسد فمر به معبد الخزاعى وكان يومئذ مشركا فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك فى أصحابك ثم خرج فلقى أبا سفيان بالروحاء فقال وما وراءك يا معبد فقال محمد قد خرج فى أصحابه اطلبكم فى جمع لم أر مثلهم يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان متخلفا عنه وندموا على صنيعهم قال ويلك ما تقول قال والله ما أرانك ترتحل حتى ترى نواصى الخيل قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال فانى والله أنهاك عن ذلك فألقى الله الرعب فى قلوبهم فرجعوا (للذين أحسنوا) نظروا الى الله تعالى لا الى نسبتهم الى الشجاعة وقوة الايمان (منهم واتقوا) اعتبارا لخلق اليهم (أجر عظيم) لا ينقص عن أجر الشهداء بل لعله يزيد عليه وهؤلاء هم (الذين قال لهم الناس) أى الركب المستقبل لهم (ان الناس) أبا سفيان وأصحابه (قد جمعوا) أنفسهم وقصدهم (لكم) أى لاستئصالكم (فاخشوهم) ولا تخلصون منهم الا بالرجوع الى دينهم (فزادهم) قولهم (ايمانا) بأن الله هو الناصر القاهر المحيى المميت (وقالوا حسبنا) أى كافينا (الله) من غير عدة لنا ولا عدد وكيف لا يكفينا وقد وكلناه (ونعم الوكيل) هو فأرهب الله عدوهم (فانقلبوا) أى رجعوا من حمراء الاسد (بنعمة من الله) هى الغلبة وكمال الشجاعة وزيادة الايمان والتصلب فى الدين (وفضل) هو ربح تجارتهم فى الطريق (لم يمسسهم سوء) اذ لم يلقوا عدوا (و) انما كان لهم ذلك لانهم (اتبعوا رضوان الله) فارضاهم وتفضل عليهم فوق ما استحقوه (والله ذو فضل عظيم) فلا ينحصر فضله فيما أعطاهم ثم أشار الى أنه لما كان منشأ هذه الفضائل فلا مانع منه سوى الشيطان فقال (انما ذلكم) القائل ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم هو (الشيطان) جاء يخوفكم وهو انما (يخوف أولياءه) من دون الله (فلا تخافوهم) وان رأيتم لهم قوة وعدة وعددا (وخافون) أن توافقوا أعدائى فتروا قوتهم دون قوتى (ان كنتم مؤمنين) بعظم شأنى وعموم قدرتى ونفاذها دون قدرتهم (ولا يحزنك)

الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه والمعمور الأهول والبحر المسجور الماء (قوله تعالى بخسا ولا رهقا) بخسا نقصا ورهقا ما يرهقه أى ما يغشاه من المكروه (قوله تعالى برق البصر) شق وبرق بفتح الراء من البريق اذا تخطف يعنى اذا فتح عينيه عند الموت (قوله باسرة) منكرهة (قوله عز وجل بردا ولا

فضلا عن الخوف معاونة المنافقين الكفار لاحقية دينهم بل لانهم (الذين يسارعون في) اظهار (الكفر) لصعوبة اخفائه عليهم (انهم) وان كانوا أعداءك من داخل (لن يضروا) أولياء الله لانهم يحميهم الله فلو أضروهم لاضروا (الله) بتعجيزهم اياه عن حمايتهم ولا يمكنهم أن يعجزوه (شيأ) بل (يريد الله) أن يضرهم الضرر الكلي وهو (ألا يجعل لهم حظا في الآخرة) مع غاية سعة رحمته ولا يبالي لما جعل لهم في الدنيا من حقن الدماء والاموال (و) لا يقتصر على حرمانهم بل (لهم) مع ايمانهم الظاهر (عذاب عظيم) أعظم من عذاب من يظهر كفره ثم أشار الى أنه كما لا يضر المنافقون أولياء الله لا يضر المرتدون دين الله فقال (ان الذين اشتروا) أي استبدلوا (الكفر بالايمان) عند رؤيتهم هزيمة المسلمين بأحد (لن يضروا) دين الله الذي يريد مع ايقاع الهزيمة تارة والنصر أخرى اظهاره فلو أضروه لاضروا (الله) في ارادته لكن لا يمكن اضراره في ارادته (شيأ) انما يضرون أنفسهم في الدارين اذ (لهم عذاب أليم) بذهاب أمانهم وظهور دين أعدائهم وشوكتهم في الدنيا ورؤية درجات أعدائهم وشدة عذاب أنفسهم في الآخرة ونقصهم مجبور بما لا ينحصر الى يوم القيامة ولو قيل كيف يكون للمرتدين العذاب الاليم في الدارين وقد أملى لهم فقال عز وجل (ولا يحسبن الذين كفروا) من المرتدين وغيرهم (انما نملي لهم) أي أن املاءنا لهم (خير لانفسهم) بل هو سبب مزيد عذابهم لانه (انما نملي لهم ليزدادوا اثما) فيزدادوا عذابا فكأنه نفس العذاب بل زيادة فيه وقد ينجز من عذابهم أنهم بالاثم مهانون (و) ان لم يبالوا له في الدنيا لكن يبالون له في الآخرة اذ (لهم عذاب مهين) في أسفل دركات النار ثم أشار الى أن هزيمة المؤمنين ليس من اهانتهم حتى يكون عذابا مهينا لهم بل سبب كما لهم اذ تميزوا بها عن المنافقين فقال (ما كان الله ليذر) أي ليترك (المؤمنين على ما أنتم عليه) من الالتباس بالمنافقين بل لا يزال يبتليكم (حتى يميز) المنافق (الخبيث من) المؤمن (الطيب و) لا يميز الا بهذا الابتلاء لانه (ما كان الله ليطلعكم) على ما في قلوب الخلق من الايمان والكفر لانه اطلاع (على الغيب) اذ به يصير الكل مجتبى (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) باطلاعه عليه ليدل على اجتبائه ليقتدى به غيره (فآمنوا بالله) الذي يميز بينهما في الدنيا ليدل على تميزه بينهما في الآخرة (ورسله) الذي اجتباهم للاقتداء بهم في الاعتقادات والاعمال (و) ليس ذلك على سبيل العبث بل (ان تؤمنوا) فتصححوا الاعتقادات (وتتقوا) فتصلحوا الاعمال (فلكم) لا ينتفع غيركم به (أجر عظيم) كنى به مميزا عن المنافقين لو لم يكن لهم مع فوائه عذاب عظيم ثم أشار الى أن حسبان الكفار املاءهم خيرا كحسبان البخلاء ابقاء اموالهم خيرا من انفاقها في سبيل الله فقال (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله) لينفقوا في سبيله اذ جعله (من فضله) زائدا على قدر حاجاتهم (هو خيرا لهم) ينتفعون به في المستقبل وأولادهم من بعدهم (بل هو) وان انتفع به أولادهم (شر لهم) لا يوازيه خيره لو حصل لانه (سيطوقون ما بخلوا به) أي يلزمون وبال ما بخلوا به لزوم الطوق بل يصور مالهم يصور

شرابا) بردا أي نوما ويقال في مثل منع البرد البرد أي أصابني من البرد ما منعني من النوم (قوله تعالى البلد الامين) أي الآمن يعني مكة وكان آمنا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغار عليه (بريء) خلق مأخوذ من برأ الله الخلق أي خلقهم فترك همزها ومنهم من يجعلها من البرى وهو التراب خلق آدم عليه

شجاع يجعل فى أعناقهم (يوم القيامة و) هم وان لم ينفقوه فى سبيل الله فهو راجع اليه اذ (لله ميراث السموات والارض) أى يصير أملاكا أهلها بعد فنائهم الى خالص ملكه كما يصير مال المورث ملك الوارث وكذلك يرث حياتهم وان لم يقتلوا فى سبيل الله ثم ان له أن يتلفه عليهم أو على أولادهم لانه مقتضى أفعالهم (والله بما تعملون خبير) وانما رأوا البخل خيرا لانهم رأوا الانفاق اتلافا بلا عوض لكنه تضعيف كما قال عز وجل من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ولما سمعت اليهود ذلك قالوا ان الله فقير يستقرض منا فقال عز وجل (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) استهزاء بكلامه بحمله على خلاف مراده لانه أراد أنه ليس باتلاف بل هو تعويض كتعويض المستقرض فحملوه على الاستقراض للحاجة مع أنه لا دلالة للفظ الاستقراض عليه لكنه لما كثر وقوعه للحاجة صار كالمدلول الالتزامى له عرفا (سنكتب ما قالوا) بطريق الاستهزاء بكلامه الهائك حرمته وحرمة المتكلم بحيث تبطل الهيبته أو تكلمه به وهو فى معنى القتل لذلك عقبه بقوله (وقتلهم الانبياء) مع علمهم أنه (بغير حق) كما أن هذا التأويل أيضا بغير حق (و) انما نكتب ذلك ليكون حجة لنا فى تعذيبهم اذ (نقول) لهم (ذوقوا عذاب الحريق) أى أدركوه ادراك اللسان بالذوق للمطعومات بوصول أثرها الى باطنها فاذا نسبوا ذلك الى الظلم قيل لهم (ذلك بما قدمت أيديكم) من هتككم حرمة الله وحرمة كلامه وأنبيائه المبلغين له وأى ظلم أشد من ذلك فلا تنسبوا اليه المبالغة فى الظلم بل ثبت أنكم المبالغون فيه (وأن الله ليس بظلام للعبيد) ولو قالوا ما بالغنا فى الظلم بقتل الانبياء بغير حق بل انما قتلنا الكذابين أجيبوا بأنكم اعترفتم بكونهم أنبياء لانكم (الذين قالوا) فى الاعتذار عن ترك الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول) أى لمدعى الرسالة وان جاء بمعجزات قاهرة (حتى يأتينا) بهذه المعجزة المعينة (بقربان تأكله النار) النازلة من السماء عليه (قل) مقتضى هذا القول بعد تساوى المعجزات فى الدلالة على صدق من ظهرت على يديه صدق كل من جاء بهذه المعجزات سواء أتى بمعجزات أخر معها أم لا لكن (قد جاءكم رسل) كثيرون (من قبلى بالبينات) القاهرة (وبالذى قلتم) فكذبتموهم فلو تكذبوهم (فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) فى أنا ما قتلنا الا الكذابين وأنا انما كذبناهم لعدم اتيانه بهذه المعجزات المعينة (فان كذبوك) بعد بطلان عذرهم المذكور (فقد كذب رسل من قبلك) من غير عذر فى التكذيب لانهم (جاؤا بالبينات) أى المعجزات الفعلية (والزبر) معرفة كتب الانبياء السابقين عليهم من غير تعلم بشرى (والكتاب المنير) أى المزيل شبهات أهل الكتب السابقة ولو قيل ان كان انه مضاعفا للقرض أضعافا كثيرة فانا لا نجدها مع كثرتها أجيب بأنكم انما لا تجدونها لانها مما لا ينقطع عن غاية كثرتها والامور الدنيوية منقطعة اذ (كل نفس ذائقة الموت) فلو حصل لكم فيها بعض الاضعاف فلا يوفى فيها (وانما توفون أجوركم يوم القيامة) على أن الاجور انما تتم بالابعاد

السلام من التراب

* (باب الباء المضمومة)

(بكم) خرس (قوله برهانكم) أى حجتكم يقال قد برهن قوله بينه بحجته (بيت الذى كفر) وبهت أيضا انقطع وذهبت حجته (قوله تعالى بروج مشيدة) حصون مطولة واحدها برج وبروج السماء منازل الشمس والقمر وهى اثنا عشر برجا (قوله تعالى بورا) هلكى (قوله

من النار وادخال الجنة بل ذلك بجميع الاجر (فمن زحزح) أى أبعد (عن النار) التى هى مجمع الآفات والشرور (وأدخل الجنة) الجامعة للذات والسرور (فقد فاز) بكل هبة سنية ونعمة هنية ثم ان الاضعاف لو تمت فى الدنيا لكانت سبب مزيد الغرور المتضمن ضرر الآخرة كيف (وما الحيوة الدنيا) وان خلت عن تلك الاضعاف (الا متاع الغرور) ولدفع الغرور (لتبلون فى اموالكم) باذهابها (وأنفسكم) بامانتها وقتالها (ولتسمعن) عند الابتلاء فى الاموال والانفس (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) وان كان حقهم ان يبينوا ان الابتلاء لدفع الغرور ولكنهم ساوا والمشركين اذ تسمعون منهم (ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) بأن دينكم لو كان حقا لما ذهبت أموالكم ولا قتلت أنفسكم (وان تصبروا) عند الابتلاء وسماع الاذيات (وتتقوا) ترك الدين عند ذلك (فان ذلك من عزم الامور) أى من الامور التى جزم الله بالامر بها ثم أشار الى ان أذى أهل الكتاب أعظم من أذى المشركين لانهم يغيرون ما فى كتابهم وقد منعوا كتمانه فضلا عن التغيير فقال (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه) أى الكتاب (للناس) وان لم يسألوهم (ولا يكتمونه) ان سألوهم (فنبذوه) أى الميثاق (وراء ظهورهم) لا يلتفتون اليه البتة بل غيروه (واشتروا به) أى استبدلوا به (ثمنا قليلا) من الرشا الذى هو سبب العذاب الخالد (فبئسما يشترون) بتغيير كلام الله ونبذ ميثاقه وراء ظهورهم ثم أشار الى انهم لا يرون قبح ذلك بل يفرحون به فقال (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا) من اشتراء الثمن القليل بتغيير كلام الله انه سبب فرح بل هو سبب حزن كيف (و) لا يحبون ظهوره لانه يوجب الذم بل (يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) من وفاء الميثاق من غير تغيير ولا كتمان فلا تحسبن انه يدوم حمدهم بل يظهر شرهم فيذمون فان لم يظهر (فلا تحسبنهم بمفازة) أى بنجاة (من العذاب و) لا ينتفعون بفرحهم وحمدهم فى الدنيا حين يكون (لهم عذاب أليم و) لا مانع منه اذ (لله ملك السموات والارض) فله تسليط ما يشاء منهما عليهم لتعذيبهم (و) له ان يعذبهم بغير تسليط شئ اذ (الله على كل شئ قدير) ثم استدل على قدرته على الاشياء ابتداء وحكمته فى ترتيب الاشياء على أسبابها وعلى ان للاعمال آثارا توجب الجزاء فقال (ان فى خلق) أى ايجاد (السموات والارض) ابتداء من غير سبب (واختلاف الليل والنهار) مسببين عن حركات الكواكب بتبعية حركات الافلاك وافادتهما الاظلام والاضاءة (لآيات) على القدرة والحكمة وآثار الاعمال (لاولى الالباب) أهل البواطن بالتزكية والتصفية بملازمة الذكر اذ هم (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) فلا يخلو حال من أحوالهم عن ذكر الله المفيد صفاء الظاهر المؤثر فى تصفية الباطن ولم يمنعهم القعود ولا الاضطجاع عن خدمة الله وارضى خدام الملوك عن خدمتهم (و) يعينهم فى ذلك انهم (يتفكرون) أولا (فى) حكم (خلق السموات) اذ جعلها متحركة تختلف بها أوضاع كواكبها صعودا وهبوطا واستقامة ورجوعا (والارض) اذ جعل فيها عناصر قابلة للكون والفساد

عز وجل بكيا) جمع بالك وأصله بكوا على فعول فأدغمت الواو فى الياء فصارت بكيا (قوله عز وجل بدن) جمع بدنة وهى ما جعل فى الاضحى للنحر والنذر واشباه ذلك فاذا كانت للنحر على كل حال فهى جزور (قوله عز وجل بشرى) وبشارة اخبار بما يسر (قوله بست الجبال بسا) فتتت حتى صارت كالدقيق والسويق المبسوس أى المبلول

والفساد لتكوين المعادن والنباتات والحيوانات والانسان من آثار الاوضاع السماوية مع مافيها من أنواع الحكم فيقولون (ربنا ماخلقت هذا باطلا) اى خاليا عن الحكمة (سبحانك) من ان تراعى الحكمة فى اجزاء العالم ولا تراعيها فى الانسان فقد خلقت فيه الصعود والهبوط والاستقامة والرجوع وجعلت لروحه وقلبه ونفسه من أعماله هيئات مختلفة وآثارا متنوعة وجعلت بيديه مايستكمل به الحكمة فيستوجب الثواب أو يقطعها فيستوجب العقاب ونحن مقصرون فى استكمالها (فقنا) بفضلك (عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته) بابطال انسانيته اذ جعلته شرا من البهائم والنباتات والجمادات وليس ذلك منك ابتداء بل من ظلمنا (وما للظالمين من أنصار) فلا ينصرهم برد انسانيتهم تربيتك ولا رحمتك ولا عفوك فضلا عما سواك (ربنا انتا) ليس تقصيرنا من جهلنا بل علمنا الحكمة من جهتك اذ (سمعنا منادیا) أى داعيا اليها وهو الرسول (ينادى للايمان) الذى هو رأس الحكمة بأمرنا (أن آمنوا بربكم) الذى يربيكم بتكميل انسانيتكم بالايمان واعماله (فآمنا) طلبا للتربية به وبالاعمال (ربنا) ولكن صعب علينا الوفاء بمقتضى الايمان من اتيان الاعمال الصالحة واجتناب المعاصى والمكاره (فاغفر لنا ذنوبنا) فلا تفضحنا بها (وكفر) أى امح (عنا سيآتنا) أى المكاره فلا تعاقبنا عليها ولا تجعلها سبب المعاصى ولا تجعل المعاصى سبب الكفر (وتوفنا مع الابرار) ثم قالوا (ربنا) انا وان لم نستوجب على الايمان والاعمال شيأ من الثواب اذ يكفى فى الايمان النجاة عن العذاب الخالد وفى الاعمال كونها شكر النعم السابقة (و) لكن (آتنا ماوعدتنا على) السنة (رسلك ولا تخزنا) بافساد ايماننا واعمالنا بحيث لا نستحق عليه الموعود من الثواب بل يلحقنا وعيد العقاب (يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد) أى ميعاد الثواب والعقاب ولما دعوا الله تعالى عن كمال المعرفة والتزكية استحقوا الاجابة (فاستجاب لهم ربهم) جميع دعواتهم بكلمة واحدة وهى (أنى لا أضيع عمل عامل منكم) لاستلزام الوفاء على الايمان وتكفير السيات واعطاء الموعود وأشار الى انه كيف يضيعه مع انه يلحق الناقص بالكامل حتى يسوى بين كل عامل (من ذكر أو أنثى) لسريان النور من الكاملين الى الناقصين اذ (بعضكم من بعض) فى اتمام الاجر وان كان الكامل يعطى من الفضل مالا يعطى الناقص ثم أعمال الناقصين ان لم تكن مكفرة بأنفسها فاعمال الكاملين لابد ان تكون مكفرة بأنفسها (فالذين هاجروا) لتكميل ايمانهم فانهم (و) ان (أخرجوا من ديارهم) فاخراجهم لما كان سبب ايمانهم واختاروه كانت هجرتهم اختيارية (و) لو لم تكن اختيارية فلا شك انهم (أوذوا فى سبيلى) فتحملهم الاذى دليل كمال ايمانهم (و) قد زادوا على تحمله اذ (قاتلوا و) لو كان قتالهم لدفع الاذى فقد وقع عليهم أعظم وجوهه اذ (قتلوا) فهذا كله دليل كمال الايمان المكفر اعمال صاحبه للسيآت لذلك (لأكفرن عنهم سيآتهم) فتستنير قلوبهم بحيث يسرى منها النور الى قلوب الناقصين (و) لو لم يكمل هذا النور فلا شك ان نور الاعمال يكمل

* وقال لص من غطفان وأراد ان يخبز فخاف ان يعجل عن الخبز قبل الدقيق وأكله عجينا فقال * لا تخبزا خبزا وبسبسا * (قوله عز وجل بنيان مرصوص) أى لا صدع بعضه ببعض لا يغادر شيأ منه شيأ (قوله عز وجل بعثرت) أى القبور بحثرت وأثيرت فأخرج مافيها

* (باب الباء المكسورة) * (قوله عز وجل بسم الله) اختصار المعنى أبدأ بسم

فيهم لذلك (لأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار) اذ صارت قلوبهم بأعمالهم بساتين الاحوال والمقامات تجرى من تحتها أنهار المعارف فلا بد وان تجرى منها أنهار الانوار الى قلوب اتباعهم كيف ولا يكون بقدر الاعمال اذ يكون (ثوابا من عند الله) فيعظم بقدر عظمته وكيف لا يكون لثوابه نور (والله عنده حسن الثواب) ولكل حسن نور ولو قال قائل لو كانت الحكمة فى خلق السموات والارض الدلالات الداعية الى الايمان والتقوى لكان كل من كفر فى أسوا الاحوال لابطاله الحكمة وكل من آمن فى أحسنها لاتمامه الحكمة لكن كثيرا ما نرى الامر بالعكس يقال له (لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد) بالتصرف فيها والاستيلاء عليها فانه ليس من محاسن الاحوال فى حقهم بل هو مكر عليهم اذ هو (متاع قليل) يرتب عليه الاستقرار بجهنم اذ يتمتعون أيام الحياة (ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) وقد أفضى اليه متاعهم فبئس المتاع وما يرى من سوء حال المؤمنين فليس بسوء فى الحقيقة اذ لم يترتب على معاصيهم (لكن الذين اتقوا ربهم) يصيبهم السوء ليكمل جزاؤهم على صبرهم اذ (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله) واذا كان هذا نزلا فلهم درجات فوق ذلك بمجرد التقوى (وما عند الله خير للابرار) العاملين مع التقوى ومن أعمال البر الصبر فانهم عليه درجات كثيرة وسببه الابتلاء فليس بسوء بالحقيقة ولو قيل لو كانت الحكمة الدلالات الداعية الى الايمان الذى يدعون اليه لكان أهل الكتاب أولى بها قيل انما يكون أولى بها من رجح جانب الله على جانب هواه لا بالعكس (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) فيرجح جانبه على هواه (و) لذلك يصدق (ما أنزل اليكم و) ليس ذلك منه كفرا بكتابه بل يصدق أيضا (ما أنزل اليهم) ويدل على اخلاصهم كونهم (خاشعين لله) وانما خالفوا سائر أهل الكتاب لانهم يرجحون جانب الرشوة وهؤلاء (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) ولا يضرهم ترك ذلك الثمن اذ (أولئك لهم) بدله (أجرهم) الكامل (عند ربهم) على الايمان بالله وبالمنزل عليهم وعليكم وبالخشوع وترك الثمن القليل ولا يتأخر أجرهم الى مدة مديدة يؤثر لاجله الرشا الحالة لان الله يسرع حسابهم لايصال اجورهم سريعا (ان الله سريع الحساب) ثم قال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم الوقوف على حقائق الاشياء على ما هى عليه ولا يحصل بتقليد العلماء وان سبقوا وبالغوا ما بلغوا لاختلافهم ولذلك يحتاج الى التفكر والمناظرة والنظر فى شرائط الاستدلال بحيث يرتبط المدلول بدليله وترك التعصب والتمسك بالشبهات لذلك (اصبروا) فى التفكر (وصابروا) فى المناظرة (ورابطوا) المدلولات بالدلائل (واتقوا الله) أن تتعصبوا أو تتمسكوا بالشبهات (لعلكم تفلحون) بالاطلاع على حقائق الاشياء * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أجمعين

* (سورة النساء) *

سميت بها لان ما نزل منها فى أحكامهن أكثر مما نزل فى غيرها (بسم الله) المتجلى بجميعه فى

الله وبدأت باسم الله ٣ حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه كقوله تعالى واسئل القرية أى أهل القرية ويجوز أن يسمى الفاعل والمفعول بالمصدر كقولك رجل عدل ورضا فرضا فى موضع مرضى وعدل فى موضع عادل فعلى هذا يجوز أن يكون البر فى موضع البار (قوله عز وجل بطانة من دونكم) أى دخلاء من

٣ قوله فى الهامش فحذف المضاف الخ هكذا فى الاصل الذى بأيدينا ولعله سقط بعد قوله باسم الله (قوله عز وجل البر من اتقى) أى البر بر من اتقى فحذف الخ